د. إبراهيم السامرائي

السيد محمود شكري الألوسي و«بلوغ الأرب»

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع


السيد محمود شكري الآلوسي
وبلوغ الأرب

الطبعة الأولى

1412هـ - 1992م

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

بيروت - الحمراء - شارع اميل اده - بناية سلام
هاتف ٨٠٢٤٢٩ - ٨٠٢٤٠٧ - ٨٠٢٢٩٦
بيروت - المصيطبة - بناية طاهر هاتف ٣٠١٠٣٠ - ٣١١٣١٠
ص.ب ١١٣/٦٣١١ تلكس LE ٢٠٦٦٥ - ٢٠٦٨٠ - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمده وأستعينه .

بين يدَي الكتاب

قصة هذا الكتاب تبدأ مما رأت مديرية الشؤون الثقافية في وزارة الثقافة والإعلام العراقية أن يندرج هذا الكتاب في سلسلة تتصل بـ «أعلام العراق» . وقد كُلِّفت بالقيام بهذا العمل وبذلت فيه الوسع والطاقة .

ولما أنجزت ما كُلِّفت به أرسلته من عمّان عاصمة المملكة الأردنية بوساطة الملحقية الصحفية في سفارة العراق ، وفوجئت ، وذاك أمر عجب ، إن الكتاب لم يصل وعُدَّ ضائعاً . ولم يكن منّي إلاّ أن أرسل مصورة «الكتاب» ، وقد تكرّم الأستاذ وزير الأوقاف بنقلها إلى بغداد فتسلّمها منه أحد الأصدقاء . وذهب بها إلى مديرية الشؤون الثقافية ، فأخبره الموظف المسؤول : أنهم وجدوا النسخة الأولى التي قيل إنها ضاعت . ولكن السيد «. . .» مدير عام الشؤون الثقافية رفض الكتاب مدّعياً أن «السلسلة» أُلغيت . أقول : كأن صاحبنا . . . لم يحتمل أن ينشر كتاب في السيد محمد شكري الألوسي ، فصنع ما صنع ، وهكذا يجحد نفر من الناس أهل العلم وحقوقهم !!.

المقدمة

كلفتني دار الشؤون الثقافية العامة في وزارة الثقافة والإعلام العراقية أن أكتب في السيد «محمد شكري الألوسي»[1] ، فنظرت في الأمر فوجدت بين يدي كتاب أستاذي الجليل محمد بهجة الأثري «محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية»[2] ، كما وجدت ما كتبه في كتاب له أيضاً حبسه على «أعلام العراق»[3] ، وهو الكتاب الذي أفاد منه الأستاذ خير الدين الزركلي في ترجمته للسيد الألوسي في كتابه «الأعلام»[4] .

ومن المفيد أن أعرض لمادة كتاب الأستاذ الأثري في هذه «المقدمة» لأخلص بعد ذلك إلى السيد الألوسي في كتابه «بلوغ الأدب» ، وقد بدا لي أن كتاب الأستاذ الأثري قد اشتمل على فوائد كثيرة ، ذلك أنه لم يقصره على السيد محمود شكري ، فقد تجاوزه ممهداً ومقدماً إلى جملة فوائد هي :

1ـ عصر الألوسي و«بيأته»[5] العامة (3 – 20) :

---

(1) وذلك في كتاب السيد مدير الشؤون الثقافية العام الدكتور محسن جاسم الموسوي ذي العدد (2442) والمؤرخ في 1986/4/6 .

(2) من منشورات «معهد الدراسات العربية العالية» في سنة 1958 في القاهرة .

(3) «أعلام العراق» من مصنفات الأستاذ الأثري الذي أرخ فيه لسِيَر جمهرة من رجال العراق ممن أخذ عنهم ومعاصريه ، وقد خصّ السادة الألوسيين بنصيب من «كتابه» .

(4) «الأعلام» لخير الدين الزركلي ، وقد ترجم فيه لعدد من السادة الألوسيين في طبعاته كلها .

(5) أقول · أستاذي الأثري عالِم بالعربية ، والعلم بالعربية يتوزع طائفة من الأبواب تتجاوز النحو والصرف واللغة والأدب والعروض وأيام العرب إلى غيرها من المواد ، فمعرفة الخط وتجويد رسم الحروف شيء من أدواته الكثيرة ، فهو مليح الخط ينحو فيه منحى شيخه السيد الألوسي . إن «رسم الحرف» قد أطلق عليه خطأ مصطلح «الإملاء» وصار من مواد التعلّم في مدارسنا ، فأسيء فهمه وذهب فيه رجال التربية إلى غير ما وضع له ، ان «الإملاء» مصدر الفعل «أملى» ، وكتب «الأمالي» معروفة ومشهورة . لقد اجتهد الأستاذ الأثري فآثر رسم همزة «بيئة» ألفاً كما ورد في «الكتاب» وفي سائر مصنفاته ، وقد أشير إلى هذا في أحد من أعداد «مجلة المجمع العراقي» .

أقول . إن رسم الهمزة في كتب «الرسم» قد ضبط في حدود واسعة ، غير أن أهل العلم المتقدمين والمتأخرين قد تجاوزوا تلك الحدود فراحوا يرسمون الهمزة بطرائق عدّة . وكأني أميل إلى أن ترسم همزة «بيئة» ياءً كما ألفنا ذلك لدى الكثير من أهل العلم وغيرهم . لقد وردت كلمة «بيئة» في المعجمات في «باب الهمزة فصل الباء» جاء في القاموس المحيط : « . . . . والإسم «البيئة» بالكسر» . =

جاء في أولها :

ولد السيد محمود شكري الألوسي ببغداد في 19 شهـر رمضان 1373 هـ (12 أيـار 1856 م) ، وتوفي فيها يوم الخميس 4 شوال ، 134 هـ (8 أيّار 1924 م) .

عاش السيد الألوسي تسعاً وستين سنة قضى معظمها تحت راية الخلافة العثمانية حتى شهر زوالها .

وقد أشار المؤلف إلى موقف الألوسي من الدولة العثمانية في رضاه وسخطه . كما أشار إلى ثمانية الأعوام التي قضاها في سلطان الإحتلال البريطاني ، وهي الحقبة التي قضاهـا شيخاً يشكو صحته متعباً مجهداً ، يواجه هذا الحكم الجديد الظالم الغاشم .

وقد أشار إلى أن الحكم الجديد سعى في استمالة الألوسي فأسند إليه منصب «قاضي القضاة» فرفضه . وقد كان الألوسي يشبّه هذا الحكم بالنار ، ويشبّه أعوانه بالمكواة التي تحمى بها . ومن هنا قاطع أخاه الأكبر حين خالف مشورته فقبل وزارة العدل في عهـد الإنتداب ، وأقام على مقاطعته حتى فرّق بينهما الموت .

وقد عرض الأثري لهذه الحقبة التي اشتملت على سني عمر الألوسي ، وهي «زمن هرم دولة الخلافة العثمانية» ، ولكنه أشار إلى مـا كان من ازدهـارها في عهـد السلطان عبد المجيد (1819 ـ 1861) ذلك الإزدهار الذي قد يحدث في الدول في أواخر أعمارها ، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون .

لقد أعلن السلطان عبد المجيد «التنظيمات الخيرية» اقتباساً من النظم الغربية وذلك

= أقول : كأن كسر الباء مؤذن بلزوم الياء تثبت عليها الهمزة . ولو فتحت الباء وتحـولت إلى بناء «فَعْلة» بفتح الفاء لرسمت الكلمة «باءة» ، وهي كالبيئة والمباءة بمعنى المنزل .

وقد استحسن أستاذنا الأثري أن يثبت همزة الألوسي مفتوحة في الشهرة وهي «الألوسي» ولم يلتزم المد ، وهو الشائع لدى العراقيين وغيرهم من العرب ، ولا أدري أكان السيد محمود شكري وأسرته قد ألفوا هذا بينهم ؟ .

أقول : «الألوسي» بهمزة نظير «الآلوسي» بالمد ، فقد أشار الأستاذ الأثري إلى ما ورد في كتب اللغة والبلدان في مادة «ألوس» فقال :

«ألوس» التي تنتسب إليها أسرة الألوسي ، فيها لغات ، منها : «ألوس» بوزن صَبور ، و«آلوسة» بالمد ، ذكرهما الزبيدي في «تاج العروس» ، و«ألوسة» كما في «نزهة المشتاق» للإدريسي ، وكذلك في كتابه «صورة الأرض» و«آلُس» بالمدّ وضم اللام . وقد ذكر هذه ابن خلكان عن ابن النجار المؤرخ البغدادي .

أقول : وفي «معجم البلدان» لياقوت وسائر كتب البلدان مثل هذا . وأنا أميل إلى أن تكون الشهرة بالمدّ (الآلوسي) لشيوعها مع صحتها. على أني أثبتها مفتوحة جرياً على ما استحسنه أستاذي الأثري ـ حفظة الله ـ .

في سنة 1856 وهي السنة التي ولد فيها السيد الألوسي . وتتصل هذه التنظيمات بالسياسة والإجتماع والإقتصاد ، ابتعاداً عن الحكم المطلق الذي انتهجه الخلفاء العثمانيون ، ولم يشذّ عن هذا السلطان عبد الحميد الذي لم يتأثر بما جدّ في عصره في أساليب الحكم المتقدمة إلاّ في أواخر سنيه حين أعلن الدستور في سنة 1908 مكرهاً غير راض .

ثم عرض الأستاذ الأثري للمركزية الشديدة المفرطة في الإدارة التي أدرك أضرارها مدحت باشا الذي كان والياً لبغداد وسورية كما ورد في تقاريره .

وأشار إلى الجامعة الإسلامية التي ظهرت حين تجسم للدولة شبح «المسألة الشرقية» . وقد ظهرت هذه الدعوة حين تبيّن الحاكمون نيّات الغرب الإستعماري ، فاستنفر المسلمون لدرء هذا الخطر .

ثم بلغت هذه الحركة ذروتها في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، وقد وجد فيها دعاة الإصلاح عوناً لهم فيما يريدون ، وكأنهم في ذلك التقوا مع السلطان في الإفادة من اليقظة الإسلامية .

ولم يستطع عبد الحميد أن يفيد مما استجد في إحياء الشعور الإسلامي للوقوف إزاء الغزو الغربي . غير أن هذه اليقظة الوطنية الإسلامية سرعان ما تحولت إلى اهتمام بصوفية بالية تنظّمها زوايا ونكايا انتشرت في كثير من الجهات ، فعاد الإستبداد والجهل والتأخر ، ومس غير شك أن ذلك يؤدي إلى زوال هذه الدولة التي لم يتبع فيها الحاكمون السبل القويمة للتخلّص من المشكلات .

لقد زادت المشكلات وعمّت الفتن وقد خيّل للحاكمين من الإتحاديين وغيرهم أن الأخذ بالحزم وتتريك الناس هو السبيل القويم وهكذا كانت الصورة كئيبة مظلمة فانتهت دولة العثمانيين ، وتوزع الغرب هذه البلاد الفسيحة واقتسموها بينهم .

ويمضي الأستاذ الأثري في الكلام على أحوال العراق فيعرض إلى الولاة العثمانيين الذين شغلوا الولاية فيه فيشير إلى أن الذي تقدمهم جميعاً هو مدحت باشا ـ أبو الدستور ـ الذي تولى ولاية بغداد من 18 المحرم 1286 هـ1869) إلى شهر ربيع الأول 1289 هـ (1870 م) ، لقد تم في عهده إقامة أصول المدينة الحديثة مما يتصل بالمرافق الرسمية والعامة .

والسيد الألوسي نفسه يذكر في كتابه «أخبار بغداد»[6] جملة ما أنشأته الدولة من مرافق فيقول :

---

(6) كتاب أخبار بغداد وما جاورها من البلاد ، ولكني أفدت عنه مما نقله الأستاذ الأثري في كتابه الذي أشرنا إليه . وسيأتي الكلام على هذا الكتاب في كتب السيد الألوسي التاريخية وسأعرض لما ذكره فيه الأثري وما قاله فيه سركيس في «معجم المطبوعات» .

«ومن أبنية البلدة المنتظمة : دار الحكومة ، دار المشيرية ، وقشلة الرجال والمدفعيين ، ومكتب الصنائع ، ومطبعة الولاية ، والمكتب الإعدادي العسكري ، والمكتب المرشدي العسكري ، والملكي ، ومحل دائرة البلدية الدائرة الأولى ، ودائرة الرديف ، ودائرة الرسومات ، ودار المحكمة الشرعية ، ودائرة الأعمال العسكرية ، ودائرة عمل الخبز العسكري ، ودار الشفاء العسكري ، ودار الشفاء للغرباء ، وما اتصل بها من داء الشفاء لداء الكلب ، ودائرة تلقيح الجدري ، ودار المجانين[7] ، ودائرة الفرسان العسكنر ، ودار المعلمين ، ودائرة البلدية الثالثة ، ودائرة العسكر البحري ، والتلغرافخانة ، ودائرة الرزي[8] ، والديون العمومية ، والبانق[9] العثماني ، ومحكمة التجارة ، ودائرة البلدية الثانية ، ودائرة النسج ، ومعمل الدقيق ، ومسلحة ، وطلنبة الماء ، ومعمل الثلج ، ودار البارود ، ودائرة محجة الحديد» .

وأفاض السيد الألوسي في كتابه المشار إليه إلى الصناعة في العراق وما كان من ذلك متصلاً بالنساجة والدباغة ونحو ذلك ، كما تحدث عن التجارة ووسائلها النهرية والبحرية .

ثم عرض للمجتمع البغدادي فتكلّم على عناصره و«قومياته»[10] وأديانه وطوائفه وبدوه وحضره . ولا تعدم أن تجد في كتابه شيئاً عن الشيعة وفرقها والسّنة وفرقها . وجملة هذا الفصل في كتاب أستاذنا الأثري مفيد ما يتصل منه بالألوسي من قريب أو بعيد ، وما لا يتصل من ذلك مما استدعاه الدرس .

أقول : ومادة كتاب أستاذنا الأثري واسعة مفيدة فهي في الألوسي وفي فوائد أخرى اقتضاها الدرس ، فهو في الكلام على :

---

(7) إن الكثير من هذه المعالم قد بقي قائماً إلى حقبة متأخرة فقد عرفنا إلى سنوات خلت : دائرة عمل الخبز العسكري «أكمكخانة» ودار المجانين ، ودار المعلمين وغيرها .

(8) قد يبدو غريباً لفظ «الرزي» ، وهو في الحقيقة ما عُرِّب في تلك الحقبة من الكلم الأعجمي وكثير منه فرنسي ، وهو «ريجي» وهو في الفرنسية «Regic» وتعني هذه الكلمة النظام أو القانون . وملاك الأمر فيها أن جملة من البضائع ومن بينها التبوغ وما يتصل بصناعة المشروبات الكحولية كانت حكراً على الدولة . وقد نقلت الكلمة في الإستعمال الدارج العام بحروفها «ريجي» وإني لأذكر أحداً من أصحابي في المدرسة العتيقة كان يعرف بابن الريجي . وقد دأب أهل العلم على مقابلة «الجيم» الأعجمية المشوبة بشيء من الشين على رسمها «زاياً» لدى تعريبها . وعندي أن «كنز» في العربية معرّب «كِنج» ومثل هذا كثير من المعرّب القديم .

(9) و«بانق» معرب «بانك» أو «بنك» وقد دأب أهل التعريب الأوائل على مقابلة الكاف الأعجمية بالقاف العربية فقالوا : مقدونيا وموسيقى وغيرها والأصل مكدونيا وموسيكا أو موزيكا . وأذكر اننا شهدنا هذا المعرّب (أي بالقاف) مثبتاً على لوح في بغداد يشير إلى أحد البنوك والمصارف الأجنبية ، وكان آخر العهد بذلك سنة 1953 . ثم استبدل بكلمة «بنك» كلمة مصرف فشاعت مع بقاء بنك مستعملاً .

(10) استعملت مصطلح «القوميات» وهي مما جدّ في عصرنا فاكتسب بذلك صفة المصطلح العلمي .

«أسرته وبيأته الخاصة»[11] .

يعرض عرضاً موجزاً مع الاكتفاء لبلدة «ألوس» وما ورد فيها من لغات ، وما ذكر من أحوالها المناخية وموقعها وجودة أرضها . كما عرض لصفة أهلها وما تميزوا به من الجدّ والعمل ودأبهم على السفر ابتغاء الرزق ، وهم في كل ذلك أهل استقامة وصدق .

وعرض لجملة ممن عرفوا بهذه النسبة إلى المدينة «ألوس» على تراخي العصور فأشار إلى جملة صالحة منهم ممن عرفوا بالعلم والأدب .

ومن المفيد أن تكون «مقدمتي» هذه متضمنة لما ورد في كتاب أستاذي الأثري ثم أخلص منها إلى الكلام على[12] :

«بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب»

وهو مادة كتابي هذا .

وفي الذي أعرض له مستوفياً ما جاء في كتاب أستاذي إحاطة بجملة فوائد كلها يتصل بسيرة السيد الألوسي .

تكلّم الأستاذ الأثري على «معالم سيرته» فعرض لبيئته العامة عرضاً موجزاً ليخلص منه إلى الكلام على بيئته الخاصة فأشار إلى أنه ولد في دار جدّه أبي الثناء[13] في العاقولية[14] ، وهي الدار التي ولد فيها جميع أبناء أبي الثناء وذراريهم ، وكانت تشتمل على عدة دور لسكناه وسكنى أولاده ولاستقبال زائريه من طلاّب العلم وغيرهم . لقد كان من أولئك النفر العظام الذين تشد إليهم الرحال فكان بين طلاّبه الكردي والتركي والهندي ، ولا تعدم أن تجد آخرين من بلاد شتى . وحسبك أن تعلم أن لويس ماسينيون المستشرق الفرنسي كان قد قصده وأخذ عنه .

---

(11) استوفى هذا القسم من كتابه أستاذي الأثري تسعاً وعشرين صفحة، وإذا كانت عدة صفحات الكتاب 160 يكون ما خصّ منه بين يدي البحث 50 صفحة وهو حسن ومفيد .

(12) لا أستوفي هذا جميع ما أورده الأستاذ الأثري ، ولكني أختصر وأوجز ما فيه الكفاية وما تقرره حاجتي .

(13) أبو الثناء محمود شهاب الدين الألوسي (1217 ـ 1270 هـ) جدّ الأسرة الألوسية من أعلام العراق المشاهير في القرن الثالث عشر الهجري . جمع بين العلم والأدب واللغة والشعر والنثر والفتيا صاحب التصانيف البارعة ، وهو صاحب «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» الذي اشتهر بين الدارسين ، وما زال مصدراً من مصادر التفسير ، وله مصنّفات أخرى ذكرها الأستاذ الأثري في «أعلام العراق» وفي كتابه هذا

(14) العاقولية من محالّ الجانب الشرقي ببغداد وقد نسبت إلى صاحب المسجد الجامع الواقع في المحلة المشار إليها ، وهو جمال الدين عبد الله بن محمد العاقولي مدرس المستنصرية المتوفى سنة 728 هـ .

قلت : ولد في هذه الدار وقد سمّاه أبوه محموداً تيمّناً باسم جدّه «أبي اثناء محمود» فأرخ الوالد هذا الحدث فقال في «مذكراته» :

«ولد ـ والحمد لله تعالى ـ الولد الأغر المبارك المحفوظ بعين عناية الله السيد محمود ، المخلّص بـ «شكري»[15] والملقب بـ «جمال الدين» والمكنّى بـ «أبي المعالي» صباح يوم السبت 19 رمضان ، ـ وكانت الساعة بإثني عشر ونصف أو ثلث بعد الشمس بمقدار ـ سنة 1273 ، 12 أيّار» .

وربما ورد «الحسيني» أيضاً مع الاسم «محمود شكري الألوسي» فهو علوي النسب ، وجاء أيضاً «الحسيني البغدادي» .

وقد تكلّم الأستاذ الأثري على «مصادر ثقافة» السيد الألوسي فأسهب فيها وأتى بفوائد جمّة[16] . وها أنذا أجمل هذه السيرة المباركة فأقول : أخذ العلم عن أبيه عبد الله بهاء الدين الألوسي واقتضى سيرته فتعلّم عليه القراءة والكتابة وثقف منه كل ما يعين على اضطلاعه بالعلم مما كان يشغل به نظراؤه في تلك الأحقاب ، كما ألمّ إلماماً وافياً بالأدب وطرائق الشعراء والكتّاب .

لقد وعى علوم العربية ووقف منها وقفة البصير النابه كما وقف على العلوم الإسلامية وأدرك الحقيقة فنفى الزيف والبدع والضلال الذي كاد أن يأتي على الخير من مناهج السلف .

وإذا قلت علوم العربية فهي ، كما هو متعالم ، النحو والصرف والإشتقاق والبلاغة واتقان الخط والتجويد فيه .

وهكذا تمّ له ما استعان به من أدوات على التدريس في مستقبل أيامه ، وتوفي أبوه فكفله عمّه أبو البركات نعمان خير الدين الألوسي .

---

(15) دأب الأتراك العثمانيون على إلحاق أعلامهم المذكرة بزيادة هي شكري وفهمي وغالب وكامل وذهني ووصفي ونحو ذلك ، وربما جاء شيء من ذلك لدى الفرس . وقد قلّدهم العرب في ذلك ولا سيما المصريون . وهذه الزيادة على طريقة التركيب ترمي إلى التيّمن أو التبرّك فمن كان اسمه «مصطفى كامل» فهو إشارة إلى الرسول المصطفى نبينا محمد ﷺ ـ وإضافة «كامل» له لا تصافه بالكمال . ومن كان اسمه «علي غالب» فهو إشارة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي لقّبه الرسول بـ «أسد الله الغالب» .

وأما زيادة «شكري» فهي من الشكر لله على ما أنعم ، ولا تعدم أن تجد تخريجاً من نحو هذا في «فهمي» و«حقي» و«وجدي» و«وصفي» وغيرها .

(16) سآتي بإيجاز على ما أفاض فيه في «مصادر ثقافته» ، وما كان له في مساعيه مما أدرجه الأستاذ الأثري تحت عنوان هو :

«دور العمل» ـ مدرّس ومؤلف ، وما كان من «نبوغه» ونيله «الجوائز العلمية» وأشتات أخرى لا بد من التنويه بها في الكلام على سيرته وما عرض له من شدائد وغيرها .

قال الأستاذ الأثري :

«وتوفي أبوه قبل أن يستنفد ما عنده مس علم ويفيد مس كل ملكاته ، فكفله عمه أبو البركات نعمان خير الدين الألوسي (الذي أشرنا في ترجمته) إلى ما امتاز به من علم واجتهاد ومناهضة للتقليد ومناهج التصوف ودعوة إلى الرجوع في فهم الإسلام إلى ينابيعه الصافية الأولى ، وحاول أن يغرس في نفسه بذور أفكاره ، ويعفي على الأثر الصوفي الذي علق بذهنه من أبيه ومن روح عصره فلم يتسع صدره لقبول ذلك منه ، واختلف معه ، فانصرف عنه . . . . . لكنه على كل حال فارقه وقد تزعزعت ثقته بالتقليد وبهذا التصوف من غير شك ، ثم جاءته الايام من بعد مبصرة بالحقائق فكان أشد منه حماسة في مناهضة التقليد والتصوف وأعظم وطأة عليهما منه»[17] .

ومن شيوخه الشيخ إسماعيل بن مصطفى الموصلي الذي أخذ عنه العلوم الإسلامية[18] .

وقد أخذ الألوسي عن الشيخ عبد السلام الشواف مصطلح الحديث ، كما أخذ طرفاً من التفسير عن الشيخ بهاء الحق الهندي[19] . كما قرأ عليه علم الأصول والحديث والتفسير والكلام .

وذاكر في علم المنطق أشهر العلماء به في عصره وهو الشيخ المعمر عبد الرحمان القرداغي ، وقد ذاكره فيه بعد أن توطن بغداد سنة 1303 .

وللألوسي تقريظ على كتابه «تنبيه الأصدقاء في التقليد والاجتهاد والإستفتاء والإفتاء»[20] .

وقد بدأ أثر ما أخذه الألوسي عن الشيخ القرداغي في كتابه «الأجوبة المرضية عن الأسئلة المنطقية» الذي نقد فيه الألوسي بعض قواعد المنطق .

كما قرأ الهيئة والحكمة والعروض على السيد محمد أمين الخراساني الفارسي . وقد تعلّم اللغتين الشرقيتين التركية والفارسية .

وليس علم السيد الألوسي ما ثقفه وأخذه عن شيوخه ، بل إنه اتسع فيه بما كان له من قراءات خاصة في أمّات المصادر من المطبوع والمخطوط ، فقد أقبل على نسخ الكثير منها بخطه المليح ووشّى كله بفوائده وفرائده التي علقها عليها ، وقد استعان على حاجته من

---

(17) الأثري : محمود شكري الألوسي ص 53 .

(18) ترجم له الألوسي في كتابه «المسك الأذفر . . .» ، الأثري ص 54

(19) وصفه الألوسي بسعة الإطلاع على العلوم العقلية والنقلية عامة في «المسك الأذفر . . .» .

(20) طبع في بغداد سنة 1331 هـ .

الكتب بتلاميذه ـ وهم كثر ـ يستكتبهم ما كان يحرص على أن يحور عليه من هذه النفائس .

وقد علت كلمته واشتهر في الآفاق بآرائه الحكيمة ونبوغه واجتهاده .

وصفه السيد محمد رشيد رضا في مجلة «المنار» بـ «عالم العراق ، ورحلة أهل الآفاق ، ناصر السّنة ، قامع البدعة ، محيي هدي السلف ، حافظ فنون الخلف ، علامة المعقول ، ودرّاكة المنقول ، دائرة المعارف الإسلامية ، نبراس الأمة العربية» .

وقال فيه أيضاً :

«كان إماماً يقتدى به في علمه وعمله ، وهديه وآدابه ، وقف جميع حياته على علوم الإسلام وفنون اللغة في هذا العصر الذي قلّ فيه الاشتغال بالعلم والأدب في تلك البلاد بين أهل السّنة وكاد ينحصر في الشيعة» .

ثم قال :

«فبعد أن كانت بغداد في عهد العباسيين عاصمة العلوم والفنون في الأرض ، وكانت المدرسة النظامية فيها أول مدرسة جامعة في العالم ، ثم بعد أن كان يوجد فيها في كل عصر ، أفراد نابغون كجد الفقيد صاحب «روح المعاني» ـ رحمه اللّه ـ استقبلنا هذا القرن الرابع عشر للهجرة من أوله في الإشتغال بالعلم ، وصار لنا بنشر المنار وبالسياحة علم وإختبار بأحوال الأقطار الإسلامية ، فلم نسمع للعلوم العربية والدينية على مذهب أهل السّنة صوتاً إلاّ من هذا الرجل ، لهذا لقبناه في مكتوباتنا له بعالم العراق . . . .»[21] .

قال الأستاذ الأثري في الكلام على السيد الألوسي مدرساً ومؤلفاً :

«خُلق الألوسي لكي يكون عالِماً ممتازاً يتقدم العلماء ويقود حركة العلم والأدب في وطنه بعدما قادها جدّه ثم أبناؤه من بعده»[22] .

لقد بدأ بالتأليف في الحادية والعشرين من عمره ، فقد صنّف أول رسائله وكتبه في سنة 1294 هـ .

ولقد باشر التدريس فأخذ يقرأ في داره وفي جامع عادلة خاتون دروساً في موضوعات مختلفة من العلوم العربية والعلوم الإسلامية ، وذلك قبل أن يدخل في سلك التدريس الرسمي . ثم صار مدرساً ، وعمره قد تجاوز الثلاثين ، في مدرسة داوود باشا آخر الوزراء

(21) الأثري : محمود شكري الألوسي ص 56 ـ 57 .
(22) المصدر السابق ص 58 .

العثمانيين ببغداد ، ثم أضيف إليه تدريس مدرسة السيد سلطان علي ، تم وجهت إليه في سنة 1340 هـ مدرسة مرجان الشهيرة التي لا يمنح التدريس فيها إلّا لأعلم أهل البلد ، وكان يطلق على مدرّسها نعت «رئيس المدرسين» ، فجمع بينها وبين مدرسة داوود باشا ، وترك الأخرى لابن شقيقته . . . . .

وقد تخرج به طائفة كبيرة من طلاب العلم ببغداد .

وذاع صيته وعلا اسمه لدى أهل العلم وقصده هؤلاء من آفاق شتى وأمم مختلفة ، وقد تلمذ له ، كما أشرنا آنفاً ، «ل . ماسينيون» المستشرق المعروف ، فقد حل في بغداد وقضى فيها سنة بين 1907 ـ 1908 . وقد أشار هذا إلى هذه الحقبة فذكرها في محاضرة له حاضر بها في معهد الحقوق بدمشق سنة 1920 م ، ونشرت في «مجلة المجمع العلمي العربي» 240/1 بعنوان «ملتقى الأدبين» ، فقال :

« . . . . . وأتذكر الآن من ساعدوني من إخوانكم المسلمين ، ولن أنسى أبداً الشيخ محمود شكري الألوسي وابن عمه الحاج علي ، فهما ساعداني مساعدات أخلاقية مهمة ، وأفهماني أهمية ملتقى الأدبين الشرقي والغربي . . . » .

وقال أيضاً في كلام مسهب نشره في مجلة العالم الإسلامية الفرنسية: «Revue De Monde Musulman» :

«ولا أزال أقر بفضل الألوسيين لما تفضّلا به عليّ من الإفادات الجلّى والنصائح الكبرى والوثائق التي كانا يحولاني عليها للوقوف على ما في كتب القوم عن الحلّاج ذيّالك الصوفي البغدادي الشهير»[23] . وقد أشاد الرصافي في شعره بالسيد الألوسي في قصائد عدّة .

شهرة السيد الألوسي

لقد عرف السيد الألوسي في عامة البلاد الإسلامية ، وقد قصده الدارسون من شتى البلدان . وقد أشرنا إلى أن هذه الشهرة قد تجاوزت البلاد الإسلامية فعرفه الغربيون . وليس أدلّ على هذا مما تلقاه من دعوة ليؤلف في حضارة العرب قبل الإسلام . وكان أصل هذه الدعوة رغبة ملك دولة السويد والنرويج (أسكار الثاني) في أن يصنف في هذا الباب كتاب عظيم . وملك السويد هذا كان من محبي العلم ، فقد كان يقدّم العلماء ويرعاهم ويشجعهم على الإنصراف إلى العلم الصعب .

قال الأستاذ الأثري :

«وكفاه إفتخاراً ما بذله من العناية بالسيد نوردينشلد ، حيث كلفه ـ والنفقة من

(23) المصدر السابق ص 60 مع تلخيص .

الجيب الملوكي الخاص ـ أن يطوف البحار لاكتشاف بعض المجهولات الأرضية ، فخاض غمراتها ، حتى أنهى دورته بعد سنتين ، اكتشف في أثنائها من الجزر والبلدان ما أصبح في هذا الزمان شمساً منيرة في أفق الجغرافيا بعد إظلامه .

ومع ذلك فإن لجلالته من المؤلفات العديدة ما صار به جامعاً لطرفي الشرف من العلم والسلطان .

وقد رأى ، ورأيه الموفق ، أن يُعد جائزة لمن يؤلف كتاباً في تاريخ العرب قبل الإسلام ، حيث أن حالتهم الجاهلية إذ ذاك لا تعلم اليوم تمام العلم ، والشرط في هذا الكتاب أن يكون مشتملاً على بيان عوائدهم في المأكل والمشرب والزواج ، وكيفية مجتمعاتهم ومفاخراتهم ، وحروبهم ، وأفراحهم وأعيادهم ، ومعتقداتهم ومتعبداتهم ، وسائر أعمالهم في تلكم الأيام التي حبَّبها الإسلام ، وأن يظهر الفرق بين حالتي المتحضرين والمتبدِّين منهم ، وكيف كانت حالة مكة إذ ذاك ، وبأية وسيلة أمكن لهم في زمن قصير أن يتقدموا هذا التقدم السريع ، ويتغلبوا على عدة ممالك واسعة ، وأقطار شاسعة ، يبلغ سكانها أضعاف أضعافهم مراراً عديدة ، حالة كون بلادهم مقحطة قفراء (؟) خالية من بواعث المدنية ، وهل بقي من آثارهم القديمة شيء بين من يسكنون البوادي اليوم ويدعون بالعرب ، مع إقامة الأدلة الكافية والأثبات بالمستندات القوية لإثبات كل أمر منها تفصيلاً»(24) .

أقول : إن هذا الذي أثبته أستاذي محمد بهجة الأثري ، وأظنه ترجمة لكتاب ورد من اللجنة السويدية المشرفة على هذا العمل الذي أراده الملك السويدي، يؤلف سؤالات سعى السيد الألوسي أن يجيب عنها وهو يُعدّ كتابه «بلوغ الأرب» .

ولنرجع إلى كلام الأستاذ الأثري :

«وقد عينّ للنظر في ذلك لجنة من أعاظم علماء المشرقيات في أوروبا ، وكتب بذلك خطاً ملوكياً لبعض أعضائها . وستنظر اللجنة المذكورة ذلك الموضوع إلى آخر يناير سنة 1888 م . فأيّ كتاب حكمت بأفضليته على الجميع ، فصاحبه صاحب الجائزة المبينة في الأمر الملوكي ، وهذه ترجمته ملخصاً :

«لما كان جلّ رغبتي منحصراً في نشر ما اشتملت عليه لغات الأمم الشرقية وتواريخها من المعارف ، لما لها من الأهمية العظمى في تاريخ التمدن الإسلامي ، وكان ذلك غير معروف تمام المعرفة ، اعتمدت الإعلان بأني سأمنح من يؤلف أحسن تأليف في حالة تمدّن العرب قبل الإسلام بألف وسبع مئة وسبع وثمانين فرنقاً . ونيشاناً ذهبياً قيمته ألف وأربع مئة وثلاثون فرنقاً تقريباً ، وتكون صورتي منقوشة على إحدى صفحتيه ، وعلى الثانية اسم

(24) المصدر السابق ص 65 .

المؤلف الذي أخذ الجائزة واسم تأليفه المجزيّ عليه . وقد كانت العلماء الآتية اسماؤهم في تشكيل لجنة من أنفسهم للبحث فيما يقدم لها من التأليف في هذه الخصوص ، وهم : والكونت لندبرج مع كونه عضواً في اللجنة المذكورة فهو كاتب أسرارها . وإذا طرأ على أحد الأعضاء ما يوجبُ تخلّفه كأن أراد هو أن يؤلف كتاباً في هذا الموضوع ، أو فجأة مانع آخر ، فاللجنة تختار من تشاء بدله ، وعليها أن تقدم لي قبل انتهاء سنة ألف وثمان مئة وثماني وثمانين بما رأته في المؤلفات المقدمة لها مع عرض اسم المؤلف الذي يمتاز بالجائزة»[25] .

حرّر في قصر استكهلم في شهر يناير ك² سنة 1886 موافقة 1302 هـ .

تنبيه من اللجنة :

على المؤلف أن يستند في استخراجاته على الأشعار القديمة وما تضمنه من ذلك الأحاديث النبوية والسير والتواريخ الصحيحة ، والعهد القديم ، وعليه أيضاً أن يقدم مؤلّفه مطبوعاً أو غير مطبوع لقنصل دولة السويد والنرويج في البلد الذي هو به ، ويطلب منه إرساله إلى الكونت كرلو لندبرج بالعنوان المحرر أدناه .

فيا رجال الأدب ، وعلماء العرب ، نبهوا أقلامكم من الرقود ، وأنشروا لهذا الأثر مطويّ البنود ، وكيف ، وأنتم أبطال المعارف ، تتقاعسون ؟ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون»[26] .

قال الأستاذ الأثري :

«وحين تلقى الألوسي الشاب هذه الدعوة ، وتأملها ، أعجبه المطلب المقترح غاية الإعجاب ، ونقر منه وتر عصبيته للعرب .

لكنه تردد في بادىء الأمر في التصدّي لتأليف الكتاب ، لأمر واحد قام في ذهنه ، هو ملاحظة أن يظن به الطمع في جائزة الكتاب ، وما في نفسه الكبيرة غير الترفّع والزهد . غير أن خلصانه كما يقول صرفوه عن تخيل هذا الخاطر ، وشوّقوه إلى وضع هذا الكتاب ، لأن إعلاء شأن العرب لا يمنعه مانع ، ولا يقوم في تركه سبب ، فانصاع لرأيهم ، وعكف على تأليف كتابه (بلوغ الأدب في أحوال العرب) خلال المدة المحددة في كتاب التكليف ، مراعياً الشروط السابقة مع زيادات لم تكن بالحسبان ، حتى استوى له في أقصر مدة ثلاث مجلدات ، فرغ من تسويدها في غُرّة جمادي الآخرة سنة 1304 هـ ، وقدّم الكتاب إلى اللجنة المذكورة ومعه هذه الرسالة :[27]

---

(25) أسقط الألوسي أسماءهم .

(26) المصدر السابق ص 66 .

(27) المصدر السابق ص 67 .

«بسم اللّه خير الأسماء»

إن ما طلبه الملك المعظم بين الملوك ، والسالك في تدبير أمر رعيته أحسن سلوك ، السابق في ميدان المعالي جواد همته ، والفاتك بالسمهريات العوالي ماضي عزيمته ، الذي اقتضى من عوادي الأيام ما جنته على الكمال من العطب ، وافتضّ بسواد الأقلام أبكار الأفكار من غواني الأدب ، وهو أن يؤلف له كتاب ، ببديع خطاب ، يشتمل على جميع أحوال العرب ، وبيان ما كانوا عليه قبل أن يكشف نور بدر الإسلام عنهم الغيهب ، فقد اتبعتُ ما رسم ، وانتهيت إلى ما قُصد ويُمِّم ، حيث لم أجد لي عـذراً في الوقـوف دون غرضه ، ولا ما يسهل عليّ الإخلال بكل ما رامه ولا ببعضه ، لما أن وليّ أمرنا ـ أيّد اللّه تعالى دولته ، وأعلى في الخافقين صيته وسطوته ـ قد أحسن إمتاع العلم وأعزّ أهله ، وما زال مأوى لهم وله ، إن أظلم شِقّ منه كان لهم فيه سراجاً، أوطمس منار له وجدناه إليه منهاجاً ، أو قعد غيره عنه قام بأعبائه ، مرامياً عن حوزته من أمامه وورائه ، متقبّلاً آثار أسلافه الغر الأطايب ، الذين خصّهم اللّه تعالى بأرفع المراتب ، وانتظاهم من سـلالة النجباء والنجائب ، فاستوجب مرعيُّ ذممه ووكيد عصمه ، أن يُفيض معروفه على كل سائل ، ويصل نائله لجميع الساحـات والمحافـل ، فبادرت في الحـال ، لإنجاز ذلـك المطلوب البديع المنوال ، فحرّرت ما حرّرت ، وقرّرتُ ما قرّرت ، مما بلغت فيه ـ بحمد اللّه تعالى ـ من ذلك فوق قدر الكفاية ، وحزت بتوفيقه ـ سبحانـه ـ قصب السبق إلى الغاية ، واجتنبت مع ذلك الإسهاب الممل ، والإيجاز المخل ، بعبارات رشيقة ، ومعانٍ رقيقة ، مما أرجو أن يكون محطّاً للأنظار الملوكية ، ومطمحاً لعين عنايته الإكسيرية ، ولا سيما وقد أُلف على اسمه ، وصنّف على حسب توقيعه ورسمه .

والمرجوّ من الأفاضل الذين عُينوا للنظر فيما يقدّم في هذا الباب ، وانتخبوا للتدقيق فيما يرد عليهم من أقطار الأرض من رسالة أو كتاب ، إذا وقع كتابي هذا لديهم موقع الاستحسان ، وامتاز عن غيره من الكتب المؤلفة في هذا الشأن ، أن يعتنوا بأمر طبعه ، ويبذلوا الهمة في تصحيحه وحسن وضعه ، ولا سيما في التعظيمات التي أوردتها في شأن سادات الأمة ، وأكابر الأئمة ، من تصلية وترضّ ودعاء بالمغفرة والرحمة ، فلطالما تحرّفت الكتب في المطابع ، وتغيّرت إلى ما تمجّه المسامع ، ولهم بذلك الذكر الجميل ، والثناء الجزيل والفضل الجليل .

كتبه الفقير إليه تعالى

السيد محمود شكري البغدادي

فكتب إليه الكونت كرلو دي لندبرج ينبئه بوصول كتابه إلى اللجنة في «استكهلم» ويُطريه :

ثم عرض الكتاب على اللجنة ، وعقد مؤتمر برئاسة الملك أسكار الثـاني نفسه ،

شهده طائفة من علماء المشرقيات ، ومندوب من «الحضرة السلطانية» وهو الأديب التركي المشهور أحمد مدحت أفندي أحد رجال الدولة العثمانية ، وقد سجل وقائع هـذا المؤتمر تفصيلاً في كتاب خاصّ به .

وكانت الكتب المقدمة ، كما ذكر الكونت كرلو دي لندبرج في رسالته إلى الألوسي كثيرة العدد ومختلفة المصادر شرقاً وغرباً . من أوربة ومصر والشـام والعراق وغـيرها ، فنوقشت مناقشة دقيقة في عدة جلسات إلى أن أسفرت عن اتفاق كلمـة المؤتمرين عـلى تفضيل كتاب السيد الألوسي على جميع الكتب المقدمة إلى اللجنة ، فمنح مؤلفه الجائزة ، وهي وسام من الذهب ، وقرر طبع الكتاب بنفقة الملك أسكار . ثم أرسل الوسام إلى السيد الألوسي مشفوعاً برسالة بليغة صادرة من القاهرة في 12 شهر ربيع الأول سنة 1307 بإمضاء الكونت كرلو دي لندبرج قنصل السويد والنرويج العام في مصر ووكيلها السياسي تحمل إليه بشارة فوزه بالجائزة وقرار طبع الكتاب .

وهذه هي الرسالة :

«حضرة العالِم الفاضل السيد محمود شكري أفندي أعزه اللّٰه .

أيّد اللّٰه الأستاذ ، وشرح بالمعارف صدره ، ورفع بالكمالات قدره ، ولا زالت تحييه المعالي ، وتخدمه بأبيضها وأسودها الأيام والليالي . نكتب إليه وفضله لـدينا أظهـر من الظهور ، وأشهر من كل مشهور ، معتقدين أنه يُسَرّ بما نتلوه عليه ، إذا ألقى بمقاليد سمعه إليه ، وذلك أن كتابه «بلوغ الأرب» جليل في بابه ، وقـد استحق التقدم عـلى أضرابه ، فإن جميع الكتب التي وصلتنا في هذا الصدد ، مع ما بلغت إليه من كثرة العدد ، واختلاف مصادرها شرقاً وغرباً ، وبُعـداً وقربـاً ، من أوربا ومصر والشـام والعراق وغيرها من الآفاق ، لم يحصل سواك من أربابها أحد على تلك الجائزة التي سبق بها الوعد ، لأن الموضوع واديه عميق ، بعيد الطريق ، غير أن كتاب الأستاذ مع ذلك أجمـع الكل مادة ، وأوسعها جادة ، فلذلك أنعم عليه صاحب الجلالة مولانا ملك السويد والنرويج بـ «نيشـان» من الذهب ، أخضر العـلاقة لا أخـضـر الجلدة من بيت العرب . وهـذا «النيشان» لا يناله إلّا عالم فاضل ، قد خصّص به الأستاذ دون سواه على كثرة الآمل، فليجعل صدره له حلية ، وليفخر به على نظرائه فإنما يحسن الفخر على العلية ، وليعلم أننا قد عزمنا على طبع ذلك الكتاب تخليداً لمآثر صاحبه(28) فلينشط لمثله همته ، وليجرّد على

---

(28) أين هذا النص من قولة جرجي زيدان في كتابه «تاريخ العرب قبل الإسلام» :

«. . . . تبرّع المغفور له أسكار الثاني ملك إسوج منذ نحو عشرين سنة بجائزة سنية تمنح لمن يؤلف أحسن كتاب في «العرب قبل الإسلام» فتصّدى لإجابة الإقتراح غـير واحد من أربـاب الأقلام ، وعرضوا مؤلفاتهم في الوقت المعين على اللجنة المنوط بها فحص تلك المؤلفات وتعيين مستحق الجائزة منها» فقررت أنه ليس بينها كتاب مستحقها على مقتضى الشروط المطلوبة ، لكنها اختصّت كتاباً منها=

أعناق الخمول عزمته ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

القاهرة 12 ربيع الأول سنة 1307 هـ .

الكونت كرلو دي لندبرج
قنصل السويد والنرويج العام في مصر ووكيلها السياسي .

وقال الأستاذ الأثري :

« . . . . وكان من آثار استحسان الناس لكتابه وعنايتهم به أن تصدّى لترجمته إلى اللغة التركية أديبان من أعاظم شعراء العراق وكتّابه ، وكلاهما من خلصان المؤلف وأصفياء مودته ومكبري قدره ، وهما عبد الحميد بك الشاوي الحميري ، وأحمد عزة باشا العمري الموصلي . وقد حمل الأول على الترجمة سرّى باشا الكريدي والي بغداد من فرط إعجابه بالكتاب ، فترجم طرفاً منه ، وسمّى ترجمته «منتهى الطلب في ترجمة بلوغ الأرب» ونشر مقدمته في جريدة الزوراء ، ثم عاقته المنية عن إكماله . أما ترجمة أحمد عزة باشا العمري ، فالمظنون أنها صارت طعمة نار شبت بداره في استنبول»[29] .

وقبل أن أخلص لمادة كتابي التي مهّدت لها بهذه الصفحات مفيداً من كتاب الأستاذ الأثري ، أود أن أعرض لمصنفات السيد الألوسي ليكتمل هذا التمهيد .

= بالذكر ألّفه السيد محمود الألوسي فضّلته على رفاقه ، وأجازت لصاحبه نشره ، فنشره في ثلاث ، واعتبر نفسه نال الجائزة !!! عن كتاب الأستاذ الأثري أخذنا هذا التعليق مع الرسائل التي اجتزأنا منها بما نشرناه في هذا الموجز .

(29) المصدر السابق ص 72 ـ 73 .

مصادر الدراسة

1 ـ محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية للأستاذ محمد بهجة الأثري (من منشورات معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة 1958) .

2 ـ أعلام العراق للأستاذ الأثري ـ مصر 1345 .

3 ـ عشائر العراق للأستاذ عباس العزاوي ـ بغداد 1365 ـ 1375 .

4 ـ لب الألباب لمحمود صالح السهرودي بغداد 1351 .

5 ـ تاريخ الأدب لكارل بروكلمان Brock. S. 2. 787 .

ونزيد على هذا في دراسة الأسرة الألوسية مما يلقي الضوء ويزيد في الفوائد المصادر الأخرى :

1 ـ المسك الأذخر للسيد محمود شكري الألوسي ، طبع الجزء الأول في بغداد سنة 1348 هـ .

2 ـ معجم المطبوعات العربية ليوسف أليان سركيس ، طبع في القاهرة سنة 1346 هـ .

3 ـ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لمحمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، مجلدان ، طبع في فاس سنة 1346 ـ 1347 هـ .

4 ـ تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ، أربعة أجزاء ، طبع في القاهرة سنة 1913 ـ 1914 هـ .

5 ـ أعيان البيان لحسن السندوبي ، طبع في مصر سنة 1332 هـ .

6 ـ في الأدب الحديث لعمر الدسوقي ، جزءان ، طبع في مصر سنة 1950 م

7 ـ مجلة العالم الإسلامي ، I. Massignon, R M.M. 1924 P. 244-6 .

8 ـ مجلة لغة العرب ، المجلد الرابع ص 343 ـ 346 .

9 ـ مجلة المشرق ، المجلد الأول ص 865 ـ 869 .

10 ـ تاريخ الأدبي العربي K. Brock. S. 2.: 787, G.A.I. .

مصنفات الألوسي (*)

قال الأستاذ الأثري :

« . . . . . ونلاحظ أنه ترك كثيراً من مؤلفاته في المسودة ، فلم يعاود النظر فيها ، لأن غرامه بالتأليف كان يدفعه دائماً إلى ارتياد رياض أنف ، ويصوّر له أن إنفاق الوقت في تدوين شيء جديد خير من إنفاقه في إعادة النظر فيما فرغ منه وأجدى ، وأن المعاودة سهل خطبها إذا دعت إليها الداعية .

ولقد تتبعت مؤلفاته ، فبلغ ما اهتديت إلى معرفته أربعة وخمسين كتاباً ورسالة ، عدا تقريراته ومنشآته وما حققه ونشره ، وبعض هذه الكتب يتألف من مجلدين ومن ثلاثة مجلدات .

وأستطيع أن أقسّم كتبه ورسائله خمسة أقسام :

1 ـ كتب دينية .

2 ـ كتب تاريخية .

3 ـ كتب في العلوم الدخيلة والمسائل العامة .

4 ـ كتب أدبية .

5 ـ كتب لغوية .

1 ـ الكتب الدينية (1) :

1 ـ كتاب ما دلّ عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة .

(*) استعنت في هذا الباب بما أثبته الأستاذ الأثري ، وما ورد في «الأعلام» للزركلي ، وما أثبته يوسف أليان سركيس في معجم المطبوعات ، ولعل ما أثبته الألوسي هو المصدر المعول عليه في هذا ولا بد من الإشارة إلى ما ورد في «أخبار التراث الإسلامي» التي مقرها الكويت ، فقد نشرت بحثاً في «خزانة شكري الألوسي» في العددين الخامس والسادس سنة 1406 هـ .

(1) انظر ما جاء في كتبه من مواد علمية في كتاب الأستاذ الأثري من ص 110 ـ 124 .

قال الأستاذ الأثري : ألف هذا الكتاب سنة 1239 هـ ، ونسخته الوحيدة عندي بخطي[2] .

2 ـ منتهى العرفان والنقل المحض في ربط الآي ببعض .

شرع في تأليفه في أوائل سنة 1341 هـ ثم حالت منيته دون أمنيته في إتمامه ، رقمه في مكتبة المتحف العراقي [8814] صفحاته 40 بخط المؤلف .

3 ـ الدلائل العقلية على ختم الرسالة المحمدية .

كتبه سنة 1319 هـ . (مخطوط) رقمه في مكتبة المتحف العراقي [8547] صفحاته 36 .

4 ـ كشف الحجاب عن الشهاب في الحكم والآداب .

وهو شرح ألف حديث صحيح اختارها القضاعي في الحكم والأخلاق[3]

5 ـ مختصر مسند الشهاب في الحكم .

قال الأثري : اختصرناه معاً ، ونسخته بخطي[4] في خزانة كتبه ، رقمه في مكتبة المتحف [8616] ، صفحاته 106 .

6 ـ الروضة الغناء في شرح دعاء الثناء .

وهو باكورة مؤلفاته ، كتبه سنة 1294 هـ ، ورقمه في مكتبة المتحف [8580][5]

7 ـ كنز السعادة في شرح كلمتي الشهادة .

ألّفه سنة 1298 هـ رقمه في مكتبة المتحف [8694] صفحاته 56 بخط المؤلف .

8 ـ عقد الدرر (شرح مختصر نخبة الفكر للشيخ عبد الوهاب بركات الشافعي) .

في مصطلح الحديث ، فرغ من تسويده في 18 شهر ربيع الأول سنة 1299 هـ ، رقمه في مكتبة المتحف [8547] صفحاته 73 .

9 ـ فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للإمام محمد بن عبد الوهاب .

---

(2) جاء في «أخبار التراث الإسلامي» ع (5) سنة 1986 : أنه طبع أول مرة في دمشق 1380 هـ ، والثانية في بيروت سنة 1391 هـ (المكتب الإسلامي) بتحقيق زهير الشاويش ، وحقّق أحاديثه محمد ناصر الألباني . ويتتبع المؤلف الآيات المشيرة إلى الأجرام العلوية وما ذكره الفلكيون في ذلك .

(3) جاء في «أخبار التراث الإسلامي» : قال الأستاذ الأثري : لم أره والمتن مطبوع في الأستانة وبغداد .

(4) وفي «أخبار التراث الإسلامي» : بخط المؤلف سنة 1340 هـ .

(5) صفحاته 17 بخط محمود بن حسين بن قفطان ، وعنوانه في الفهرست (شرح دعاء الثناء) ، عن «أخبار التراث» .

طبع مرتين في المطبعة السلفية بالقاهرة : الأولى في سنة 1347 هـ ، والثانية في سنة 1376 هـ ، رقمه في مكتبة المتحف [8738] صفحاته 91 .

10 ـ القول الأنفع في الردع عن زيارة المدفع :

وهو رسالة في مقاومة بعض مظاهر الوثنية التي راجت عند العوام ، والمدفع المذكور هو من مدافع السلطان مراد العثماني التي استخدمها في قتال الفرس لإخراجهم من بغداد ، وضع في مدخل الثكنة العسكرية ببغداد رمزاً للقوة ، واشتهر باسم «طوب أبو خزامة» . . . . إلى آخر ما جاء في هذا من كلام أستاذي الأثري .

11 ـ تجريد السنان في الذب عن أبي حنيفة النعمان .

وقد فرغ منه في سنة 1306 هـ . ورقمه في مكتبة المتحف العراقي [8589] .

12 ـ فتح المنّان تتمة منهاج التأسيس في رد صلح الإخوان .

ذكر في مقدمته أن كتاب «صلح الإخوان» الذي ألّفه داود بن سليمان لما كان مشتملاً على ما يصادم الشريعة الغرّاء من الدعاء إلى عبادة غير اللّه ، وجواز الإلتجاء إلى ما سواه . . . .

وقد وافاه الأجل قبل أن يتمّه فأتمّه الألوسي ، وفرغ منه في سنة 1306 هـ وطبع في الهند سنة 1309 بنفقة الشيخ قاسم بن محمد بن ثاني حاكم قطر .

13 ـ غاية الأماني في الرد على النبهاني .

وطبع في مجلدين في مطبعة كردستان العلمية بالقاهرة بنفقة الشيخ عبد القادر التلمساني .

14 ـ الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رائيته الصغرى .

وقد رد في هذا الكتاب على النبهاني في منظومته التي هجا بها عظماء النهضة الإسلامية كالسيد الأفغاني ومحمد عبده ، ورشيد رضا ، والألوسي وأهل نجد . . فردّ عليه الألوسي بهذا الكتاب ، وناقض منظومته طائفة من علماء نجد ودمشق ، وقد طبعت هذه المناقضات ، ولم يطبع الألوسي كتابه .

15 ـ المنحة الإلهية تلخيص ترجمة التحفة الإثني عشرية .

أصل هذا الكتاب للعلاّمة الشيخ عبد العزيز الفاروقي باللغة الفارسية ، وترجمته للشيخ غلام محمد أسلمي من علماء الهند ، وقد رأى السيد الألوسي أن فيه إطناباً وتكراراً لكثير من المسائل وأسلوباً بعيداً بعض البعد عن الفصاحة

والإنسجام ، فلخّصه وهذّب عبارته وأضاف إليه ، ثم قدّمه إلى السلطان عبد الحميد في سنة 1301 هـ . وقد طبع الكتاب في الهند سنة 1315 ، وأعيد طبعه حديثاً بالمطبعة السلفية في القاهرة بعناية الأستاذ محب الدين الخطيب .

16 ـ السيوف المشرقة مختصر الصواعق المحرقة .

وأصل الكتاب للشيخ محمد الشهير بخواجة نصر اللّه الحسيني الصديقي من علماء الهند . كتبه في سنة 1303 هـ (مخطوط) رقمه في مكتبة المتحف [8628] .

17 ـ صب العذاب .

نقض به أرجوزة لمحمد الطباطبائي المتستر باسم أحمد الفاطمي ناقض بها الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية تأليف أبي الثناء الألوسي ، كتبه في سنة 1304 . (مخطوط) رقمه في مكتبة المتحف [8587] صفحاته 100 .

18 ـ رجوم الشياطين .

وقد أشار إليه في كتابه «صب العذاب» ، ويمضي الأستاذ الأثري فيقول : لم أره .

19 ـ سعادة الدارين في شرح حديث الثقلين :

أصل هذا الكتاب للشيخ عبد العزيز الملقب بغلام حليم بن الشاه ولي اللّه أحمد عبد الرحيم الدهلوي الفاروقي مصنف «حجة اللّه البالغة» باللغة الفارسية وقد ترجمه السيد الألوسي إلى اللغة العربية ، وضمّ إليه فوائد تتعلّق بهذا الحديث ورتبه على مقدمة ومقصد وخاتمة . مخطوط رقمه في مكتبة المتحف [8872] صفحاته 26 بخط المؤلف سنة 1326 هـ .

2 ـ كتبه التاريخية :

وأما كتبه التاريخية ، فقد احتفل فيها بناحيتين من تاريخ أمته ، وتاريخ وطنه العربي ولا سيما المعاصر الذي قلّ الإحتفال به ، وندر أن تعرض لمباحث تاريخية مطروقة ومتداولة . . . . . . (6) .

1 ـ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب .

وسيكون هذا الكتاب مادة درسنا في كتابنا، وقد أشرنا إليه وإلى الدواعي التي دفعت السيد الألوسي إلى تأليفه .

(6) المصدر السابق ص 116 ، ينظر ما أفاض فيه الأستاذ الأثري تمهيداً لسرد الكتب المُشار إليها .

طبع الكتاب بمطبعة دار السلام ببغداد سنة 1314 هـ ثم في القاهرة سنة 1342 موشّحاً بتعليقات الأستاذ الأثري .

2 ـ كتاب عقوبات العرب في جاهليتها وحدود المعاصي التي يرتكبها بعضهم .

نشرته إدارة جريدة العراق في عامها الخامس في جزءٍ ممتاز .

3 ـ شرح منظومة عمود النسب في أنساب العرب .

وهذه المنظومة هي للعالم النسابة الشيخ أحمد البدوي المجلسي الشنقيطي البوحمدي(7) . رقمه في مكتبة المتحف [8762] صفحاته 671 بخط المؤلف سنة 1340 هـ .

والشرح من أهم كتب التاريخ والأنساب ، وقد وصفه الأستاذ الأثري في مجلة المجمع العلمي العربي 105/3 ، وهو قسمان : الأول في أنساب عدنان ونسب النبي ـ ﷺ ـ وأنساب أصحابه العدنانيين ، والثاني في نسب قحطان وما تفرّع منه . وقد قدم المؤلف شرح هذا القسم وفرغ منه لستّ خلون من جمادى الآخرة سنة 1336 هـ ، ونسخته بخط محمد سعيد بن السيد مال اللّه التكريتي في مكمتبة مديرية الآثار العامة ببغداد .

ثم شرح الأول منه وفرغ منه لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة 1340 هـ ونسخة هذا الكتاب لدى الأستاذ الأثري ، وهي بخطه عن مسودّة المؤلف .

4 ـ الدر اليتيم في شمائل ذي الخلق العظيم .

قال الأستاذ الأثري : لم يتمه .

5 ـ كتاب أخبار بغداد وما جاورها من البلاد .

قال الأستاذ الأثري بعد أن ذكر شيئاً من «مقدمة» الكتاب :

فأما القسم الأول من هذا الكتاب فلا يزال في المسودة ، ونسخه عديدة منتشرة ، منها نسخة بخط السيد إبراهيم بن ثابت الألوسي في خزانة كتب آل باش أعيان في البصرة ، وعنها صوّرت نسخة للمجمع العلمي العراقي في سنة 1953 .

وأما القسم الثاني فقد سمّاه «المسك الأذفر» في تراجم علماء القرن الثالث عشر ، نشرت قطعه منه ببغداد ، وباقيه وهو يزيد على المنشور لا يزال مخطوطاً ، أعرف منه نسختين أولاهما بخطّ المؤلف ، والأخرى نقلتها بخطّي من نسخته .

وأما القسم الثالث فهو كتاب «مساجد بغداد وآثارها» تولّيت تهذيبه وتبويبه

---

(7) ترجمته في كتاب «الوسيط في أدباء شنقيط» ص 347 .

وكتابة مقدمة له ، وأضفت إليه ما فات المؤلف إيراده من مساجد بغداد ، وطبعه الشيخ أمين عالي باش أعيان البصري وزير الأوقاف بنفقته الخاصة بمطبعة دار السلام ببغداد سنة 1346 هـ .

6 ـ تاريخ نجد :

قال الأستاذ الأثري :

ضمنه تاريخها المعاصر ، وبحوثاً في مقاطعة الأحساء التابعة لها ، وأخرى في عادات أهل نجد ومعايشهم وشؤونهم الإجتماعية ومعتقداتهم ، ونبذاً عن أمراء نجد ورسم حكومتهم وصوراً من رسائل الأمراء آل سعود في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما عرض فيه لسيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عالم نجد وباعث نهضتها الدينية والسياسية في القرن الثاني عشر الهجري ، وقد كانت هذه البحوث أشتاتاً متفرّقة تركها المؤلف في المسودّة ولم يجمعها ، فلممت أطرافها في هذا الكتاب وطبعتها لي المكتبة العربية البغدادية بالمطبعة السلفية في القاهرة سنة 1343 هـ ثم أعادت طبعه في سنة 1347 هـ وألحقت به تعليقات عليه كتبها العلاّمة سليمان بن سحمان من علماء نجد وأرسلها إليّ لأضيفها إلى الكتاب عند إعادة طبعه .

7 ـ أخبار الوالد :

جزء لطيف ترجم فيه أباه السيد عبد اللّه بهاء الدين الألوسي وجمع فيه طائفة من منشآته ، رقمه في المتحف [8623] صفحاته 102 بخط المؤلف .

ـ 3 ـ كتبه في العلوم الدخيلة والمسائل العامة :

قال الأستاذ الأثري :

وألّف في العلوم الدخيلة وفي المسائل العامة كتباً ورسائل ، بعضها مترجم من الفارسية ، وبعضها نقد لبعض هذه العلوم الدخيلة ، وبعضها شروح ومتون للطلاّب .

وهذه الكتب هي :

1 ـ ترجمة رسالة في الهيئة باللغة الفارسية لعلي بن محمد القوشجي السمرقندي شارح زيج ألُغ بك ، ومن كبار المشتغلين بالهيئة في الإسلام[8] .

2 ـ شرح الرسالة السعدية في استخراج العبارات القياسية ، كتبه في سنة 1300 هـ .

---

(8) قال الأستاذ الأثري : لم أره «أخبار التراث الإسلامي عدد 6» .

3 ـ كتاب الأجوبة المرضية عن الأسئلة المنطقية : نقد فيه علم المنطق مبيناً قلة جدواه في ناحيته التطبيقية ، في 430 صفحة بخط المؤلف ، رقمه في مكتبة المتحف [8774] .

4 ـ بنان البيان : متن صغير في علم البيان .

5 ـ المفروض من علم العروض : استخرجه من لسان العرب إبان استقرائه له سنة 1326 هـ .

6 ـ شرح خطبة كتاب المطوّل في البلاغة ، مخطوط .

7 ـ إزالة الظما بما ورد في الما ، مخطوط .

4 ـ الكتب الأدبية :

قال الأستاذ الأثري :

وهي نقود وشروح ومنشآت ووثائق أدبية ومسائل اجتماعية ، وهي :

1 ـ القول الظريف في تزييف دعوى ناصيف .

قال الأستاذ الأثري : وهو نقد لمقامات «مجمع البحرين من وضع الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني الشاعر الأديب المشهور» ، وازن فيه بينها وبين مقامات الحريري ، وتتبع سرقاته اللفظية والمعنوية من الحريري وغيره . تبعثر إبان نفيه إلى الأناطول وفقد أكثره ، وعندي قطعة من أوله بخط المؤلف .

2 ـ الأسرار الألهية شرح القصيدة الرفاعية .

3 ـ شرح القصيدة الأحمدية وهي من نظم صاحبه أحمد بك الشاوي الحميري في مدحه أجازه عليها بشرحها ، وهو شرح أدبي ممتع ، ويقع في 80صفحة ، رقمه في المتحف [8721] .

4 ـ بدائع الإنشاء (جزءان) اشتمل الأول على رسائل أبيه في مئة صفحة ، والثاني ضمّنه طائفة كبيرة من مكاتبات الأمراء والعلماء والأدباء له ، وترجم فيه لبعضهم أحياناً ، في 340 صفحة ، ورقمه في مكتبة المتحف [8550] .

5 ـ رياض الناظرين في مراسلات المعاصرين ، ويقع في 560 صفحة بخط المؤلف[9] .

6 ـ أمثال العوامّ في مدينة السلام .

جمع فيه ما يدور على ألسنة عوام بغداد من الأمثال ، وضع اللفظ العامي كما

---

(9) في «أخبار التراث الإسلامي» عدد 6 : روضة الناظرين ورقمه في المتحف [8534]

يستعملونه ، وربما غيَّره أحياناً إلى ما يقاربه في التعبير تحاشياً للألفاظ العجمية ، وتجنباً لوصمة بعض الحروف التي تأباها مخارج الحروف العربية ، مرتب على حروف الهجاء . صفحاته 76 ، ورقمه في المتحف [8513] بخط المؤلف .

7 ـ اللؤلؤ المنثور وحلي العصور : ضمّنه رسائل أبيه وجده في 225 صفحة . بخط المؤلف ، رقمه في المتحف [8654] .

8 ـ لعب العرب : رسالة لطيفة جمعت لعب العرب ، تقصّاها إبان قراءته «لسان العرب» في سنة 1326 هـ ، كما تقصّى مصطلحات العروض وغيرها .

9 ـ المسفر عن الميسر : ويقع في 42 صفحة ، بخط المؤلف سنة 1319 هـ .

10 ـ رسالة السواك : بحث موجز في العيدان التي كانت تستاك بها العرب ، قال الأستاذ الأثري : نشرتها في مجلة الحرية 67/1 .

وقال الأستاذ الأثري : وبعض هذه الكتب أشبه بالدراسات اللغوية ، أو هو جامع بين الدراسات اللغوية والاجتماعية كالرسائل الثلاث الأخيرة .

5 ـ الكتب اللغوية :

1 ـ كتاب ما اشتملت عليه حروف المعجم من الدقائق والحقائق والحكم :

ويندرج هذا في باب «الصوتيات» ، مخطوط في 116 صفحة ، بخط المؤلف سنة 1319 هـ .

2 ـ الجواب عما استبهم من الأسئلة المتعلقة بحروف المعجم :

وهو جواب عن أسئلة سبعة وجّهها السيوطي إلى علماء زمانه ، ولم يجب عنها أحد .

3 ـ الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر :

طبع بالمطبعة السلفية في القاهرة مع تعليقات للأستاذ الأثري ، سنة 1340 هـ .

4 ـ مختصر الضرائر (مخطوط) ، رقمه في مكتبة المتحف [8579] صفحاته 70 بخط المؤلف .

5 ـ كتاب تصريف الأفعال (مخطوط) .

6 ـ الجوهر الثمين في بيان حقيقة التضمين : مخطوط ، رقمه في مكتبة المتحف [8533] صفحاته 50 بخط المؤلف .

7 ـ كتاب النحت وبيان حقيقته وقواعده (مخطوط) رقمه في المتحف [8566] صفحاته 13 بخط المؤلف سنة 1316 هـ .

8 ـ إتحاف الأمجاد فيما يصحّ به الإستشهاد :

وهو من أوائل مؤلفاته ، كتبه في سنة 1301 هـ (مخطوط)[10].

9 ـ شرح أرجوزة تأكيد الألوان : ذكر فيه اختلاف الناس في حقيقة اللون ، ومؤكدات الألوان ، وما ورد في كتب اللغة من الأسماء الموضوعة للألوان المختلفة ، نشره في مجلة المجمع العلمي العربي (1/67) بعد انتخابه عضواً مراسلاً فيه[11].

10 ـ شرح منظومة العطار : في فن الوضع من فنون اللغة العربية (مخطوط) .

11 ـ فتاوى لغوية ونحوية :

قال الأستاذ الأثري : عندي طائفة منها ، وهي مهمة[12].

ومما نضيفه إلى هذه القائمة ما جاء في العدد السادس من «أخبار التراث الإسلامي» وهي :

1 ـ رسالة فيما كانت عليه بغداد : منقولات التقطها السيد الألوسي من كتاب «مراصد الإطلاع» وكتب أخرى . رقمه في المتحف [8798] صفحاته 12 .

مراجع هذه القائمة : «محمود شكري الألوسي» للأستاذ الأثري ، «أعلام العراق» للأستاذ الأثري ، «إتحاف الأمجاد» تحقيق عدنان الدوري ، بغداد 1402 هـ .

فوائد أخرى من «أخبار التراث الإسلامي»[13]، العددان 5 و 6 :

جاء في الصفحات 63 ـ 73 من العدد الخامس في بحث وسم به «خزانة السيد محمود شكري الألوسي» تحت عنوان كبير هو «مكتبات مشهورة» :

. . . .

وكثيراً ما طمع في نشر كتب النوادر مشجعاً الأغنياء والمعنيين على طبعها ، وكان ينسخ منها الكثير ليهديها إلى المكتبات لأمله في نشرها من قبل المعنيين بها .

وقد ذكر مكتبته جرجي زيدان في «تاريخ آداب اللغة العربية» ضمن مكتبات الشهيرة فقال ؛ «مكتبة السيد الإمام الكبير محمود شكري الألوسي هي من المكتبات الجليلة المشتملة على عيون الكتب . . . . . .» .

---

(10) حقّقه عدنان عبد الرحمن الدوري مطبعة الإرشاد، بغداد سنة 1402 ورقمه في مكتبة المتحف [8566] وصفحاته (9) بخط المؤلف (عن أخبار التراث عدد 5) .

(11) نشرت الرسالة في المجلد الأول من المجلة سنة 1921 في الجزأين الثالث والرابع، وأصلها أرجوزة للشيخ علي بن العز الحنفي الشهير بالشارح الجارح .

(12) هذه القائمة من مصنّفات الألوسي هي جميع ما أثبته الأستاذ الأثري في «كتابه» .

(13) أخبار التراث الإسلامي نشرة تصدرها لجنة المخطوطات والتراث في جمعية إحياء التراث الإسلامي في الكويت .

وقد آلت مكتبة محمود شكري الألوسي ـ رحمه اللّه تعالى ـ إلى مكتبة المتحف العراقي (مؤسسة الآثار العامة ببغداد) ضمن مخطوطات الخزانة الألوسية التي اقتنتها مؤسسة الآثار من عائلة السيد عبد الرزاق محمد ثابت الألوسي ـ رحمه اللّه ـ وهي تضم مجموعة كبيرة من تأليف علماء العائلة الألوسية وكتاباتهم ، وفي هذه المكتبة مجموعة من تآليف ، كتب أغلبها بأقلامهم منها مؤلفات أبي الثناء شهاب الدين الألوسي ، حيث وجد له تسعة مؤلفات ثلاث منها كتبت بخطه ، ومؤلفات محمود شكري الألوسي التي بلغت ستة وثلاثين مؤلفاً بخطه ، كما أنه نسخ 39 مخطوطاً من مؤلفات غيره فبلغ ما كتبه بخطه في هذه الخزانة نحو 9000 تسعة آلاف صفحة .

ومؤلفات علماء ألوسيين آخرين كأبي البركان نعمان خير الدين ، وعبد اللّه بهاء الدين وغيرهم .

وفيها أيضاً مجموعة من مراسلات محمود شكري الألوسي ، أهمها رسالة لويس ماسينيون المستشرق الفرنسي يستفسر فيها عما يمكن أن يفيد عن الحلاج .

أما الكتب التي حققها فهي :

1 ـ منهاج السّنة النبوية لابن تيمية في 4 مجلدات ، طبع في بولاق ، القاهرة سنة 1321 ـ 1322 هـ .

2 ـ بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول لابن تيمية ، وقد طبع بهامش الكتاب السابق .

3 ـ تفسير سورة الإخلاص ، لابن تيمية ، طبع في المطبعة الحسينية في القاهرة سنة 1323 هـ .

4 ـ جواب أهل العلم والإيمان لابن تيمية طبع في مطبعة التقدم ، ثم في المطبعة الخيرية سنة 1325 هـ .

5 ـ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، لابن القيّم ، في مطبعة السعادة في القاهرة سنة 1323 هـ .

6 ـ شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن القيم ، طبع في المطبعة الحسينية في القاهرة سنة 1323 هـ .

7 ـ تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة الدينوري ، طبع في مطبعة كردستان العلمية ـ القاهرة سنة 1323 هـ .

8 ـ ميزان المقادير في تبيان التقادير ، لرضي الدين محمد القزويني . نشره في مجلة المقتبس محمد كرد علي م 5 ص 686 ـ 698 و750 ـ 765 سنة 1328 هـ .

9 ـ نخب الذخائر في أحوال الجواهر ، لمحمد بن إبراهيم بن ساعد البخاري المصري المعروف بابن الأكفاني من القرن الثامن ـ نشر في مجلة المقتبس م 4 ص 378 ـ 388 رجب سنة 1327 هـ .

بلوغ الأَرَب

في

معرفة أحوال العرب[1]

الجزء الأول

---

(1) سيكون بحثي في هذا الكتاب في طبعته المصرية في منشورات المكتبة الأهلية ، في سنة 1342/1343 هـ .
وكانت طبعته الأولى في بغداد في مطبعة دار السلام سنة 1314 هـ .

ولا بد من القول : إن تجزئة الكتاب في ثلاثة مجلدات لا تعني أن كل مجلد قد خصّ بمادة تختلف عنها في المجلد الآخر ، بل أن طول الكتاب وعدد صفحاته الكثيرة قد فرض هذه التجزئة .

طبيعة «الكتاب»

قد يكون «اسم الكتاب» خير دليل على طبيعة مادته فهو السبيل إلى «معرفة أحوال العرب» .

ومعرفة أحوال العرب تشتمل على عـدة أبواب واسعـة من العلم هي الجغرافيـة والتاريخ والأدب ، ثم ما يتصل من قريب أو بعيد بهذه الأبواب الواسعة . غـير أنه لم يقسّمه إلى أبواب وفصول ، ولكنه احتوى هذه من غير أن يثبتها .

وسنجيء إلى مادة الكتاب فنفصل الكلام في أجزائها ، وقد يكون مفيداً أن نثبت قبل أن ندخل هذا الكتاب الجليل أن كثيراً من مادته اهتدى إليها صاحبها بعد أن استوعب الكثير من المصادر ، فكان له في كل مسألة صغيرة أو كبيرة رأي خاص . وربما وجدت فيه الفائدة التي لن تستطيع الوصول إلى مصدرها ، وذلك لأنه وقف على المطبوع والمخطوط . وربما اهتدى إلى الفائدة بعقله الذي استغرقه في التعليل والنظر والوصول إلى شيء جديد لا يدركه القارىء وهو ينظر في أصول مواده .

فقد كان لي أن وقفت في هذا الكتاب على الرأي الذي ما زلنا نتخبّط فيه ، ولكنه أتى فيه بالقول الفصل ، كما وقفت على فوائد تبيّن من حذق العرب فيما يحزبهم من شؤون الحياة .

ولا أجد فيّ حاجة أن أبسط شيئاً من هـذه الفوائـد في هذه الأسـطر بين يـدي الكتاب .

مادة الكتاب ومصادره

كتاب «بلوغ الأرَب» من كتب العلم ، وهذا يفرض على صاحبه أن يكون عالماً في مادته ، مجتهداً في الوصول إليها . وهذا هو «البحث العلمي» في عصرنا في شعب العلوم الإنسانية ، كما أنه السبيل إلى الوصول إلى العلم في العلوم الحديث الأخرى .

ومن هنا كان علينا أن نتحرّى أصول الكتاب ومصادره ونحن نستقري مواده الغنية[1] . ولمّا كانت المصادر والمادة بعضها في ركاب بعض ، جعلت استقراء الكتاب وسيلة إلى الوقوف على هذا كله .

ومن المفيد أن نقف على فاتحة الكتاب لنعرف شيئاً من منهج السيد الألوسي ، وإليك هذه «الفاتحة» التي هي «المقدمة» أو «التمهيد» بين يدي الكتاب .

قال الإمام الألوسي :

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله العليّ الشأن ، العظيم السلطان ، صرف الدهور بقدرته والأكوان ، وأبهَرَت[2] حكمته العقول والأذهان ، يخلق ما يشاء كما يشاء من غير تعريفٍ ولا بيان ، والصلاة والسلام على رسوله محمد الذي استخلصه من أفضل المعادن منبتاً ، وأعزّ الأرومات مغرساً فكان سيد ولد عدنان وقحطان ، وهو النبيّ الأميّ ، العربيّ الهاشميّ ، الذي أنقذنا بنور وجوده من ظلمات جهل الجاهلين إلى ذروة الفضل والعرفان ، وعلى آله وأصحابه هداة كل حَيران ، المفصحين عن الحق المبين بأفصح لسان وأعذب بيان ،

---

(1) لم يكن في طريقة أهل العلم في عصر السيد الألوسي أن يثبتوا مصادرهم وتعليقاتهم في أسفل كل صفحة ، وذلك اعتماداً على أن الذي يتصدّى للعلم ويبلغ فيه المرتبة العليا ويتصدر للإقراء والتدريس ، هو ثقة فيما يقول ويكتب . ومن هنا فهو يستوعبها ويفسرها ويشرحها ويضيف إليها ، على أنه قد تلجئه ضرورة إلى أن يشير إلى مصادره إما شرحاً وإضاءة ، وإما نقداً وإنكاراً . وكأن الأستاذ الأثري قد أدرك أن «الكتاب» محتاج إلى فوائد ، لذلك مضى إلى التعليق عليه وتوشيته بشروح مفيدة .

(2) أظن أن قوله : «أبهر» من الخطأ المطبعي والصواب «بَهَر» الثلاثي ، والمزيد الرباعي لا ينصرف إلى ما ينصرف إليه الثلاثي . وليس الفعل مما ورد على «فَعَل وافعَلَ» بمعنى . ومن أجل ذلك حملته على الخطأ المطبعي ، ذلك أن علم السيد الألوسي باللغة ودقائقها يفوق هذه الأشتات .

والمتفحّصين عن أحوال الأمم الغابرين ليزدادوا إيماناً على إيمان ، وعلى مَن تبعهم بإحسان ، ما تعاقب المَلَوان ، وكرّ الجديدان .

أما بعدُ فإن العبد الفقير ، إلى لطف مولاه الغزير ، محمود شكري ابن عبد اللّه بن محمود الألوسي البغدادي ، كان اللّه ـ تعالى ـ له خير معين وأحسنَ هادي ، ووفّقه ـ سبحانه ـ لشكر مزيد النعم والأيادي ، يقول :

لا يخفى على من عرف أحوال الأمم ، ووقف على ما كان عليه أجيال بني آدم ، أن أمّة العرب على اختلافها ، وتفاوت أصولها وأصنافها كانت ممتازة على غيرها من الناس ، متقدّمة في الفضائل والمآثر على سائر الأنواع والأجناس ، فإنّ اللّه ـ تعالى ـ قد شرّفها برسوله ، وفضّلها بتنزيله ، وخصّها بالخطاب المعجز ، واللفظ البليغ الموجز ، والسؤال الشافي ، والجواب الكافي ، فالعرب أمراء الكلام ، ومعادن العلوم والأحكام ، وهم ليوث الحرب ، وغيوث الكرب والرِفد في الجَدْب ، وهم أهل الشيمة والحياء ، والكرم والوفاء ، والمروءة والسخاء ، أحكمتهم التجارب ، وأدّبتهم الحكمة فقضوا منها المآرب ، ذلّت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطت أيديهم بالإنجاز ، فأحسنوا المقال ، وشفعوه بحسن الفعال ، ولبسوا من المجد سُندسي الطراز ، يغسلون من العار وجوهاً مسودّة ، ويفتحون من الرأي أبواباً منسدّة ، كأنّ الفهم منهم ذو أُذُنين ، والجواب ذو لسانين ، يضربون هامات الأبطال ، ويعرفون حقوق الرجال ، إلى أن تلاعبت بهم أيدي الأقدار ، وتفرّقوا في أقصى الأنحاء والأقطار ، وإني لم أزل أتشوّف للوقوف على آثارهم ، والإطلاع على شريف سيرهم وأخبارهم ، وأتمنّى أن أظفر بكتاب يشتمل على أحوالهم قبل الإسلام ، ويحتوي على ما كانوا عليه في جاهليتهم من العوائد والأحكام ، فلم أرَ ذلك فيما بين الأيدي من الكتب والمجامع ، ولا أنه قد طرق باب سمع من المسامع ، مع أن المتقدّمين ، من علماء المسلمين ، لم يهملوا مثل هذا المهم ، ولم يتركوا قولاً لقائل في كل علم ، وهم الذين امتدّ باعهم في جميع الفنون ، وحسنت منّا بهم الظنون، غير أن مرور الأعصُر والأعوام، أدّى بآثارهم إلى الضياع ، وأودى بها في سائر البقاع ، وكان كثيراً ما يختلج في القلب ويخطر بالبال ، أن أتطفّل بجمع كتابٍ يستوعب أحوالهم في سبيل الإجمال ، غير أن قلّة البضاعة تصدّني عن الإقدام ، وتثبطني عن طَرق هذا المرام ، حتى اتفق بعض الدواعي التي لم أرَ للتخلف عنها سبيلاً ، ولم أجد للإعراض عن هذا الغرض مقيلا ، فشرعتُ في المقصود ، وبذلت فيه غاية المجهود لما يترتب على ذلك من المصالح العمومية ، وما يستنتجه إن شاء اللّه ـ تعالى من الفوائد الكليّة ، وقد التزمت طريق الاختصار وتجنّبت عن التطويل والإكثار ، ومع ذلك فإني معترف بالقصور والنقصان ، وإني لست من فرسان هذا الميدان ، وللّه تعالى ـ درّ الأقدار ، فإنها تسوق المرء الى ما ليس له فيه اختيار .

إنّ المقادير إذا ساعَدَت أَلحَقَت العاجزَ بالحازمِ وقد سمّيت ما جمعته ، وكتبته في هذا

الباب وحرّرته ، «بلوغ الأرَب في معرفة أحوال العـرب» ، ومن اللّه ـ تعالى ـ أستمـد الإعانة والتوفيق ، والهداية إلى أقوم طريق ، وما تـوفيقي إلاّ باللّه عليـه توكّلت وإليـه أنيب .

تعليق :

أقول : لقد آثرت أن أثبت هذه الفاتحة ليقف القارىء على شيء مما ترمي إليه مادة الكتاب ، وعلى الدافع الذي حفز السيد الألوسي إلى تحـرير هذا «الكتاب» .

مادة الكتاب ومصادره
«حدّ العرب»

1 ـ بدأ الكتاب بتعريف العرب ، وبيان طوائفهم من العرب البائدة[1] كعادٍ وثمود ، وطسم وجد يس وغيرهم ، وبيان مواطنهم ، مشيراً أيضاً إلى العرب العاربة الذين جعلهم «الطبقة الأولى» ، ثم أتبعها بـ «الطبقة الثانية» وهي العرب المستعربة وهم بنو حمير بن سبأ . وهذا يعني أن «الطبقة الأولى» هي الخالصة في «العزوبية» . وكأنه حصر هذه بالعرب البائدة .

ثم «الطبقة الثالثة» وهم عرب قضاعة وقحطان وعدنان وما تفرّع عنهما .

وأما «الطبقة الرابعة» فهم «العرب المستعجمـة» في المغرب والمشرق . ومعنى الاستعجام ما كان من لغتهم التي انحرفت عن لسان مضر .

أقول : في هذا الفصل ، إن أجزت لنفسي هذه التسمية ، قد أشار إلى :

«كتاب العبر . . . . » لابن خلدون .

وما أظنه قد اقتصر عليه ، ولكنه استهدى بمنهجه في التقسيم .

2 ـ ثم عرّف العرب[2] **وخصّهم بمن كان لسانهم : «اللغة العربية»** .

ومن كانوا من أولاد العرب .

ومن كانت مساكنهم جزيرة العرب .

وهو في الصفة الأولى يجمع طوائف كثيرة في مشرق الدنيا ومغربها ممن كان لسانهم الذي جبلوا عليه «العربية» .

---

(1) بلوغ الأرب ص 8 ـ 11 .

إن مادة الكتاب تشتمل على فوائد جليلة الأثر ، وهي من غير شك مما أفاده السيد الألوسي مما قرأه من مصادر قديمة مطبوعة ومخطوطة . وهو في بسطه لهذه الفوائد قد يذكر بعضاً من مصادره ، وقد يغفل شيئاً منها ، ذلك أن هذه الفوائد أحياناً هي أشتات صغيرة جمعها ونسّقها فبدت مادة مجتمعة متناسقة .

(2) المصدر السابق ص 11 ـ 15 .

3 ـ الفرق بين العرب والأعراب :

وفي هذا أشار إلى «النويري» في كتابه «نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب» الذي ذهب إلى أن العرب أهل الأمصار ، والأعراب هم سكان البوادي .

ثم أشار إلى ما قاله «المفسرون» للإستهداء بلغة التنزيل إلى حقيقة «الأعراب» الذين ورد ذكرهم في جملة من الآيات .

ثم عاد إلى ابن خلدون في كتابه «العبر . . . .» على أن من المفيد أن أشير إلى تعويله على المعجمات في حصر الدلالة اللغوية .

4 ـ الكلام على معنى الجاهلية وما تطلق عليه[3] :

وقد تعقّب الألوسي الكلمة في أقوال المؤرخين والمفسرين ، وما ورد منه في الأثر واستوفى جوانب القول ، ولم يغفل ذكر الأصل وما ورد في الشعر .

وهو في هذا أفاد من الشعر ومن لغة التنزيل ، ومما ورد من الأخبار في كتب التاريخ والأنساب فاستوى له من جماع ذلك مادة متناسقة .

5 ـ بيان فضل جنس العرب وما امتازوا به[4] .

وقد خلص إلى هذا بعد كلام في فضل الإنسان على سائر المخلوقات ، فتكلّم على ما اختصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم . . . . . واستعان على ذلك بالخبر وما كان في ذلك من مواقف للشعراء .

وهو في هذا يتوفر على جمع مادته من أجزاء صغيرة تشير إلى حكايات وأخبار جمة .

قلت : أفاد هذه الفوائد الحسان مما قرأه واستوعب في الكتب وقليل منها مطبوع والكثير منها مخطوط ، ومن ذلك مثلاً ما أورده من كلام المبرد في كتاب «الروضة» بشأن اللمظة واللفظة[5] .

وقد أورد السيد الألوسي طائفة من أخبار الشعراء وأهل الأدب فلم يشر إلى المصادر ، وكأن الأستاذ الأثري أدرك أن هذا لا بد أن يكون فعمد إلى توشية الكتاب بتعليقاته فأورد المصادر في هذا الفصل ، وقد أحسن صنعاً[6] ومن المصادر التي ذكرها الألوسي كتاب «الملاحن» لابن دريد[7] ، كما أشار إلى «معاني الشعر» للأشناندانى[8] .

---

(3) المصدر ص 15 ـ 18 .

(4) المصدر ص 18 ـ 38 .

(5) المصدر ص 30 .

(6) انظر الصفحات 22 ، 23 ـ 38 .

(7) انظر ص 31 .

(8) انظر ص 32 ، ومعاني الشعر كتاب قد طبع بعد وفاة الألوسي بأكثر من نصف قرن .

وقد تجد في هذا الفصل إشارات إلى أنه استوعب كتب الأدب العامة وكتب الأمثال .

6 ـ وأما كون العرب أحفظ من غيرهم[9] .

فلأن الغالب منهم أميّون . . . . .

وقد أتى فيها على ما ورد من حفظهم للأشعار وسائر الآثار .

وأشار إلى كتاب «أقوم المسالك» وما جاء فيه عن «تاريخ دردي» وزير معارف فرنسي ، وقد عرض فيه المؤلف إلى لغات العرب القديمة .

7 ـ وأما كون العرب أقدر على البيان من غيرهم .

فأشار فيه إلى غنى العربية في الألفاظ ودقائق المعاني ، ومن هنا توفر لهم بيان فريد . كما أشار إلى ما اشتمل عليه كلام العرب وما حازته من فنون البراعة أساليبهم ، فقد تكفلت ببسطه كتب المعاني والبيان ، وأيّد ذلك بالخبر الذي كان بين أبي إسحاق المتفلسف الكندي وأبي العباس المبرد ، وهو مشهور معروف في جملة من الكتب .

أصالة العربية ومكانة العرب
«موقفه من التعريب»

وتكلّم في هذا الفصل على ما يجب أن يكون في العربية من المعرّب .

ومن المفيد أن أشير إلى هذا وأثبته ليقف أهل عصرنا على ما يقال من خصومة وخلاف بين أنصار التعريب ومخالفيهم ، قال السيد الألوسي :

«وقد سمعت بعض من لا خلاق له من الناس أنه ادّعى أن لغات الإفرنج اليوم أوسع من لغة العرب بناء على ما حدث فيها من ألفاظ وضعوها لمعان لم تكن في القرون الخالية ، والأزمنة الماضية ، فضلاً عن أن تعرفه فتفوه به ، أو تتخيلّه فتنطق به . ولا يخفى عليك أن هذا كلام يشعر بعدم وقوف قائله على منشأ السعة ، وأنه لم يخض بحار فنون اللغة حتى يعلم أن المزيّة من أين حصلت . وأما ما ذكر من أن مفردات العربية غير تامة بالنظر إلى ما استحدث بعد العرب من الفنون والصنائع مما لم يكن يخطر ببال الأوّلين ، فهو غير شين على العربية . إذ لا يسوغ لواضع اللغة أن يصنع أسماء لمسمّيات غير موجودة ، وإنما الشّين علينا الآن في أن نستعير هذه الأسماء من اللغات الأجنبية مع قدرتنا على صوغها من لغتنا . على أن أكثر هذه الأسماء هو من قبيل اسم المكان ، أو اسم الآلة ، وصوغ اسم

(9) انظر ص38 ـ 40 .

المكان والآلة في العربية مطرّد من كل فعل ثلاثي فما الحاجة إلى أن نقول : فبريقة أو كرخانة ، ولا نقول : معمل أو مصنع ، أو أن نقول : بيمارستان ولا نقول مستشفى . أو نقول : ديوان ولا نقول : مأمر ، أو نقول : اسطرلاب ولا نقول : منظر .

والعربُ اليوم بخسّوا اللغة حقها ، فإنهم عدلوا عنها إلى اللغات العجمية من غير سبب موجب ، فإن كان من يستعير ثوباً من آخر وهو مستغنٍ عنه ، يُحكم عليه بالزيغ والبطر . وإذا اعترض أحد بأن دخول الألفاظ العجمية في العربية غير منكر ، وأن كل لغةٍ من اللغات لا بد أن يكون فيها دخيل ، فاللغة هي بمنزلة المتكلّمين بها فلا يمكن لأمةٍ أن تعيش وحدها من دون أن تختلط بأمّةٍ أخرى ، فإن الإنسان مدني بالطبع ، أي محتاج في تمدّنه إلى الاختلاط مع أبناء جنسه .

والجواب: إن هذا الدخيل إنما يُغضى عنه إذا لم يوجد في أصل اللغة ما يرادفه ، أو لم يمكن صوغ مثله ، فأما مع وجود هذا الإمكان فالإغضاء عنه بخس لحق اللغة لا محالة ، وإلّا لزم المستعربين أن ينطقوا بالباء أو الكاف الفارسيتين ، أو أن يقدّموا المضاف إليه على المضاف . وهناك وجه آخر في العربية لصوغ ألفاظ تسدّ مسدّ الألفاظ العجمية التي اضطررنا إليها وهو «باب النحت» .

قال ابن فارس في «فقه اللغة»[10] : العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة ، وهو جنس من الإختصار ، وذلك كقولهم : «رجل عبشمي» منسوب إلى اسمين وهما عبد شمس .

وأنشد الخليل :

أقول لها ودمع العين جارٍ ألَمْ تَحْزُنْكِ حَيعَلة المنادي

من قولهم : حَيَّ على كذا . . . .

إلى آخر ما قال مما يدل على أن اللغة العربية أحسن اللغات صيغاً وأساليب وأتمها وأكملها نسقاً وتأليفاً مع تسويغ النحت عند اقتضاء الضرورة . . . . [11]

تعليق :

هذا هو موقف السيد الألوسي من التعريب ، وقد كان ذاك قبل ما يقرب من مئة عام .

ولكننا ما زلنا نتكلم في ضرورة التعريب ، وإن فينا حاجة إلى إكثار اللجاج للرد على خصوم التعريب من المختصين العرب وغيرهم .

---

(10) هو كتاب «الصاحبي» في فقه اللغة طبع مرتين في القاهرة وبيروت .

(11) انظر «بلوغ الأرَب» ص 44 ـ 46 .

8 ـ أما كون العرب أقرب للسخاء من غيرهم[12] :

وقد استعان السيد الألوسي على هذا مما ورد من أشعار العرب وأتى بطائفة من نماذج لشعراء جاهليين وإسلاميين ممن ذكروا في ديوان الحماسة لأبي تمام ، ومن هؤلاء :

عتيبة بن بجير المازني من بني الحارث بن كعب ، ومُـرّة بن محكـان التميمي السعدي ، وعروة بن الورد ، وابن هرمة ، وسالم بن قحُفـان العنبري وغيرهم ممن لم يعينهم أبو تمام ولا شرّاح كتابه .

وقد ذيل هذه الطائفة الكبيرة من نماذج الأدب وعيون الشعر بترجمته لطائفة من أجواد العرب وهم : حاتم الطائي الذي ترجم له ترجمة وافية ، جاء فيها بطائفة صالحة من أخباره وأشعاره .

ثم أعقب ذلك بترجمة لكعب بن مامة الإيادي ، وكان مثل حاتم في السخاء والجود وقد ضرب به المثل .

وأوس بن حارثة بن لأم الطائي ، وهرم بن سنان ، وعبد اللّه بن حبيب العنبري ، وعبد اللّه بن جُدْعان التميمي ، وقيس بن سعد ، وعبدة الكلبية ، وقتادة بن مسلم الحنفي ، ومطاعيم الريح (زعم ابن الأعرابي أنهم أربعة أحدهم عمّ أبي محجن الثقفي ولم يُسمِّ الباقين ، وقال أبو الندى : هم كنانة بن عبد ياليل الثقفي عم أبي محجن ، ولبيد بن ربيعة وأبوه ، كانوا إذا هبّت الصّبا أطعموا الناس ، وخصّوا الصبا لأنها لا تهب إلاّ في جدب) . . . .

و«أزواد الركب» :

قال ابن بكار في «أنساب قريش»[13] :

كان أزواد الركب من قريش ثلاثة مسافرين أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس . والثاني زَمَعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزّى ، والثالث أبو أمية بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم ، وإنما قيل لهم «أزواد الركب» لأنهم كانوا إذا سافروا لم يتزوّد معهم أحد . . . .

وقد حفلت تراجم هؤلاء «الأجواد» وكذلك أزواد العرب بما فيه الفائدة من أخبارهم وأشعارهم .

---

(12) المصدر السابق 46 ـ 99 .

(13) هو جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار حقّقه محمود محمد شاكر (دار المعارف بمصر) .

9 ـ **وأما كون العرب أقرب إلى الحلم من غيرهم**[14] :

وقد تكلّم هنا على الحلم ومن اشتهر به من رجال العرب وجاء بأشعارهم وأخبارهم . . . .

10 ـ **وأما كون العرب أشجع من غيرهم**[15] .

وقد أتى في هذا على أخبار الشجعان كالسموأل والشنفري ، وعمرو بن الإطنابة وقَطَري بن الفجاءة ، وعنترة وحسابن بن نشبة ، والحصين بن حمام المرّي ، وبشامة بن حـزن ، والعباس بن مرداس ، وعمرو بن كلثوم ، وزبيعة بن مفزوم الضبي ، وعامر بن الطفيل وغيرهم ، وأثبت طائفة من أشعارهم التي اشتهروا بها .

وترجم لآخرين ممن ضرب بشجاعتهم المثل من عرب الجاهلية ومنهم :

خالد بن جعفر بن كلاب العامري ، ومجمع بن هلال بن خالد بن مالك ، وعتيبة بن حارب ، وربيعة بن مكدّم وعنترة ، وملاعب الأسنة ، وزيد الخيل ، وعامر بن الطفيل ، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي وزيد الفوارس ، وأمية بن حُرثان ، وعمرو بن كلثوم وغيرهم . . . .

11 ـ **وأما كون العرب أوفى من غيرهم من**[16] **الأمم** :

وقد أتى فيه على قيمة الوفاء ومكانه عند العرب وأشار إلى قصة حاجب بن زرارة الذي رهن قوسه عند كسرى ، وهي مشهورة . . . . وقد أشار إليها أبو تمام في قوله :

إذا افتَخَرت يوماً تميم بقوسها ... فخاراً على ما وطّدَت من مناقبِ

فأنتم بذي قارٍ أمالَت سيوفكم ... عروشَ الذين استرهنوا قوسَ حاجبِ

ثم ذيل هذا الفصل بمن اشتهر بالوفاء وضرب به المثل ، ومنهم :

عوف بن محلّم ، وحنظلة بن عفراء[17] ، والحارث بن ظالم المريّ ، وأبو حنبل الطائي ، والحارث بن عباد ، والسموأل بن عادياء ، وأم جميل .

وكان في هذا الفصل قد أوعب كتابه بأخبار هؤلاء وأشعارهم .

12 ـ **وأما كون العرب أغير من غيرهم**[18] :

قال : فلأنهم كانوا أشدّ الناس حاجةً إلى حفظ الأنساب . . . .

. . . .

(14) المصدر السابق ص 99 ـ 103 .

(15) المصدر السابق ص 103 ـ 122 .

(16) المصدر السابق ص 122 ـ 139 .

(17) أشار السيد الألوسي إلى كتاب «الأمالي» لأبي علي القالي .

(18) المصدر السابق ص 140 ـ 147 .

وقد وصل العرب في الغيرة إلى أن جاوزوا الحدّ ، حتى كانوا يئدون البنات مخافة لحوق العار بهم من أجلهن ، وسيجيء تفصيل مذهبهم فيها في الأعمال التي أبطلها الإسلام .

. . . .

قال :

ومن نخوة العرب وغيرتهم أنهم يكنون عن حرائر النساء بالبيض ، وقد جاء القرآن العزيز بذلك فقال ـ سبحانه ـ «كأنهن بيض مكنون» ، وقال امرؤ القيس :

وبيضة خِدرٍ لا يُرام خباؤها ... تمتّعتُ عن لهو بها غير مُعجَل

ويكنون عنهن بالنخلة ، وعلى ذلك قول العرب :

ألا يا نخلةً من ذات عِرقٍ ... عليك ورحمةُ اللّه السلامُ
سألت الناسَ عنكِ فخبّروني ... هَناً من ذاك تكرهه الكرامُ
وليس بما أحَلَّ اللّهُ بأسٌ ... إذا هو لم يخالطه الحرام

فإن هذا الشاعر كنى عن المرأة بالنخلة ، وبالهناة عن الرفَث . فأما الهناة فمن عادة العرب الكناية بها عن مثل ذلك . وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن طريق الكناية وغريبها . . . .

. . . .

ويكنون عنهن (أي النساء) بالسرحة ، قال حميد بن ثور :

ثم عرض لما يكنون عن النساء بشجرة أو شاة أو نعجة وجؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ورئم وما شاكل ذلك مستشهداً بأشعار العرب .

وقال :

وروى ابن قتيبة[19] : أن رجلاً[20] كتب إلى عمر ـ رضي اللّه عنه ـ :

فلائصنا هداك اللّه إنا ... شغلنا عنكُمُ زمنَ الحصار
فما قُلُص وجدن معقَّلاتٍ ... قفا سلع بمختلف النجار
يعقّلهن جَعْدٌ شيظمي ... وبئس مُعقّل الذود الظؤار

---

(19) كتاب «عيون الأخبار» .

(20) أشار الأستاذ الأثري في تعليقه ص 142 : هو على ما في «التاج» وغيره أبو المنهال بقيلة الأكبر ، وكان عمر قد وجّهه إلى إحدى الغزوات بنواحي فارس ، وكان ترك عياله بالمدينة ، فبلغه أن رجلاً من بني سلم اسمه جعدة يختلف إلى النساء الغائبات أزواجهن ، فكتب إلى عمر يشكو منه .

قال : فإنما كنى بالقلص ، وهي النوق الشوابّ ، عن النساء ففهُم عمر ما أراده ، وجلد جعدة ونفاه . .

وقال : ومن نخوة العرب وغيرتهم أنه كان من عادتهم إذا وردوا المياه أن يتقدم الرجال ، ثم العضاريط والرعاء ثم النساء إذا صدرت كل فرقة عنه فكنّ يغسلن أنفسهن وثيابهن ويتطهرن آمنات مما يزعجهن ، فمن تأخر عن الماء حتى تصدر النساء فهو الغاية في الذلّ . وإلى ذلك أشارت كبشة أخت عمرو بن معدي كرب بقولها من أبيات :

ولا تــردوا إلاّ فضــول نســائكم   إذا ارتملت أعقــابهــن من الــدم

وقال : وقد تستعمل الغيرة في صيانة كل ما يلزم صيانته في السياسات الثلاث والتي هي سياسة الرجل نفسه ، وسياسة أهله ومنزله ، وسياسة مدينته وضيعته . ولذلك قيل : ليست الغيرة ذبّه عن كل ضعيف ، وتُسمّى كراهة النعمة عند من لا يستحقها «غيرة» .

ويمضي في إيراد الأخبار التي تفيد الغيرة .

13 ـ مناظرة جرت بين النعمان بن المنذر

وكسرى ملك الفرس في شأن العرب[21] :

أقول : وقد بدأ هذا فقال :

ذكر كثير من المؤرخين ومنهم ابن عبد ربه في «تاريخه»[22] ما رواه ابن القطامي عن الكلبي قال : قدم النعمان . . . .

والمناظرة طويلة تظهر مآثر العرب ومناقبهم . ثم ختم هذا الفصل بكلام لابن المقفع في فضل العرب ، وهو معروف مشهور .

14 ـ مذهب الشعوبية في العرب وإبطاله[23] :

أشار إلى قوله تعالى ﴿**يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل**﴾ وأشار إلى قول المفسرين أن القبائل العرب والشعوب العجم . والشعوبية من انتصر للشعوب التي هي مغايرة للقبائل .

وأشار إلى أبي عبيدة وكتابه «مثالب العرب» ، ثم أشار إلى البكري في شرح «أمالي القالي» وكلامه في حجة نسبة هذا الكتاب .

---

(21) المصدر السابق ص 147 ـ 158

(22) هو «العقد الفريد» طبع غير مرة .

(23) «بلوغ الأرب» ص 159 ـ 184 .

ثم أتى بطائفة من أخبار الشعوبيين . وما كان من خبر الصاحب بن عباد مع بديع الزمان الهمذاني حين دخل شاعر من شعراء العجم على الصاحب وأنشده قصيدة فضّل فيها قومه العجم . . . . . إلى آخر الحكاية وهي مشهورة . وعرض لما ورد في الأثر من الإشادة بفضل العرب مما روى الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» وما رواه الترمذي عن سلمان الفارسي في فضل العرب إذ قال :

فضلتمونا يا معشر العرب بإثنتين : لا نؤمّكم ولا ننكح نساءكم . وهذا ما احتج به أكثر الفقهاء الذين جعلوا العربية من الكفاءة بالنسبة إلى العجمي ، واحتج به أحمد في إحدى الروايتين على أن الكفاءة ليست حقاً لواحد معين بل هي من الحقوق المطلقة في النكاح .

واحتجّ أصحاب الشافعي بهذا على أن الشرف يوجب التقديم في الصلاة .

وقال :

وللحافظ العراقي رسالة سمّاها (القرب في محبة العرب) وهي منطلقة من حديث رسول اللّه ـ ﷺ ـ وهو قوله : «حب العرب إيمان وبغضهم نفاق» وهذا ما التزم به من ردّ على الشعوبية الذين كرهوا العرب فلم يقرّوا بفضلهم .

وجاء في هذا الفصل عنوان فرعي في «شبه الشعوبية وإبطالها»[24] ذكر فيه نبذاً كثيرة من الأخبار في هذا المعنى كان آخرها :

«ردّ ابن قتيبة على الشعوبية» أشار فيه إلى كتاب ابن قتيبة في هذا المعنى[25] . كما أشار إلى ردّ الشعوبية على ابن قتيبة ، ثم ختم هذا بكلام في «قول الشعوبية في مناكح العرب والردّ عليهم[26] . ثم فصّل القول في ادعاءات الشعوبية كتقدمهم في العلم على العرب وتفوقهم في الفنون والصناعات . وقد توفر للمؤلف أن يرد على هذه الادعاءات بالرجوع إلى التاريخ القديم ، من المأثور عن أهل الجاهلية ، وما أنجزه العرب من الإبداع العلمي في عصور الدولة العباسية . . .

الجغرافية والتاريخ

14 ـ الكلام على مساكن العرب في الجاهلية[27]:

أقول : كأن السيد الألوسي أراد من هنا أن يتحوّل إلى مادة جديدة هي القسم الجغرافي من الكتاب .

---

(24) المصدر السابق ص 164 ـ 184 .

(25) لابن قتيبة رسالة لطيفة مطبوعة في «الرد على الشعوبية» .

(26) بلوغ الأرب ص 173 ـ 175 .

(27) المصدر السابق ص 184 ـ 264 .

في هذا تحديد لبلاد العرب وهي جزيرة العرب التي تحدها البحار من ثلاث جهات ، مشيراً إلى البلدان في أطرافها . ثم أشار إلى طول هذه الحدود كما ذكرها البلدانيون القدماء ، وما يستغرق فيها الدائر من زمن مقدّراً بالأيام .

ثم أشار إلى سبب تسميتها جزيرة العرب ، ثم خلص إلى أقسامها ونواحيها وهي : تهامة ونجد والحجاز وعروض ويمن . . . . .

ثم تكلّم على ما في كل قسم من هذه الأقسام من المدن والبلاد والمياه والمعادن والشجر والنبات مستعيناً بـ «تاريخ مكة» للأزرقي ، و«تاريخ المدينة» للسمهودي ، و«تواريخ اليمن ونجد» وغيرها .

ثم بدأ بالحجاز فتكلّم على «مدينة» الرسول ، وأشار إلى كتاب «نشر المحاسن اليمانية» وهو مما لم نعرف ، وقد أفاد من هذا الكتاب في الكلام على «يثرب» والأوس والخزرج ، واليهود ، وأشار إلى ما فيها من مواضع .

ثم تكلّم على «الطائف» وما يتصل بها ، كما تكلّم على خيبر وأشار إلى ما ذكره البكري(28) فيها . . .

وهكذا استوفى ما في الحجاز من حواجز ومواضع وغيرها .

ثم تكلّم على تهامة فالعروض فنجد فاليمن ، وقد استوفى الكلام على هذه البلاد وأتى على أخبارها وما كان للشعراء وغيرهم فيها .

وقد نقل عن كتاب «نشر المحاسن اليمانية» ما كان في اليمن من المعادن ، وما كان من القصور والمباني الشهيرة .

ثم تحوّل إلى أطراف بلاد العرب فتكلّم على تدمر من بلاد الشام . . . . .

وقد قال فيها قال :

وذكر ذلك الثعالبي في تفسيره(29) في الكلام على مباني تدمر وأنها كانت مستقر سليمان - عليه السلام - .

وقال : وهذا من مذاهب العرب على سبيل المبالغة لا الحقيقة كما كانوا يزعمون أن «عبقراً» اسم بلد الجن فينسبون إليه كل عجيب .

ثم تحوّل إلى «ما جاور العراق من بلاد العرب» وأشار إلى ابن خلدون فقال : «أعلم أن كثيراً من العرب في حدود العراق من أرض جزيرة العرب ، والبعض منهم كان

---

(28) هو معجم ما استعجم .

(29) انظر ثمار القلوب ص 58 (دار المعارف بمصر) .

في العراق أيضاً . واختلف المؤرخون في سبب ذلك فذهب ابن خلدون في «تاريخه» عند الكلام على الطبقة الثالثة من العرب ، وهم العرب التابعة للعرب وأن «بخت نصّر» ملك بابل هو الذي أسكن بعضهم في الحيرة بسبب ما كان له مع التبابعة وغيرهم من الوقائع والحروب ، وبعد موته انتقلوا منها إلى الأنبار . .

واستوفى الكلام على الحيرة والأنبار . . . . وأشار إلى معجم البلدان . كما أشار إلى حواضر العراق الأخرى .

وتحوّل إلى «ديار بكر بن وائل وربيعة ومضر» وهي مواطن العرب في أطراف الجزيرة أيضاً . وجاء في هذه الديار ذكر آمد والرقة ونصيبين ، كما أشار إلى الموصل من مدن الجزيرة بين دجلة والفرات .

وهو حين يذكر المكان أو الحاضر يشير إلى ما يناسبها فقد قال في «جزيرة ابن عمر» فقال : ومنها ابن الأثير الجزري وغيره من الأعلام .

أقول : وكأنه أراد «مجد الدين» صاحب «النهاية في غريب الحديث والأثر» . وقال في تسمية هذه «الجزيرة» : وابن عمر الذي تنسب إليه ، وتعوّل في الشهرة عليه قيل : هو يوسف بن عمر الثقفي .

وقال : وفي «معجم البلدان» : جزيرة ابن عمر أحسب أن أول من عمرها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي ، وكانت له إمرة بها سنة مائتين وخمسين .

وفي «تاريخ ابن المستوفي»[30] :

ابنا عمر هما أوس وكامل ابنا عمر بن أوس التغلبي ، وإليه تنسب الجزيرة المشهورة .

وفي تاريخ «ابن خلكان» ما يتعلق بذلك .

ثم قال :

والمعوّل عليه ما في «معجم البلدان» ، ويبعد ما في تاريخ ابن المستوفي إفراد «ابن» دون تثنيته .

وقد تكلّم في (ص 222) على ما كان دائراً على ألسنة الشعراء من المواضع

وقد استوفى هنا ما ورد في «دارات العرب» .

ثم تكلّم على «مكة» شرّفها اللّه تعالى وما كانت عليه في الجاهلية (ص 227) واقتضاه

---

(30) لعله : «تاريخ اربل» ، من مطبوعات وزارة الثقافة ببغداد حقّقه الدكتور سامر

الأمر أن يتكلم على «صفة الكعبة شرّفها اللّه تعالى» وأطال الكلام في هذا .

وأتبع هذا «بنبذة مما ورد في فضل مكة» ، وجملة هذا قد اقتضاه أن يفيض في ذكر المشاعر والمشاهد مما يدخل في مناسك الحج .

وكأنه وجد مناسباً إلى أن يشير إلى من انتهى إليه الشرف بمكة من قريش في الجاهلية فوصله بالإسلام . . . . .

وختم هذه الإلمامة الجغرافية التاريخية الأدبية بذكر ما وقع لأصحاب الفيل في مكة ـ شرّفها اللّه تعالى ـ .

الحالة الإجتماعية

وتشتمل فيما تشتمل عليه على مواد عدة وهي :

15 ـ أسواق العرب في الجاهلية(31) :

عرض فيه لهذا النوع من النشاط الإجتماعي ، وما كان يشغل العرب في هذه الأندية التي يعقدونها في مواسم خاصة كشؤون الحرب والسلم ، وما يحزب الناس من مشكلات ، وما يلم بهم من نوائب طبيعية .

وهي من هنا أندية للمذاكرة والمشاورة وتبادل الرأي ، وحسم النزاع وفضّ الخصومة وغيرها .

وقد تعقد فيها الأحلاف لدرء الفتنة ، وإحباط الشر .

16 ـ الكلام على مفاخرات العرب في الجاهلية ومنافراتهم(32) :

وهو شيء درج عليه العرب لمكان القبيلة في المجتمع الجاهلي ، حتى إذا جاء الإسلام نهى عن التفاخر ، قال تعالى : ﴿**والله لا يحبّ كل مختال فخور**﴾ .

وتفاخر حيّان من قريش بنو عدنان وبنو سهم وتكاثروا بالسيادة والأشراف بالإسلام ، فقال كل حيّ منهم : نحن أكثر سيّداً ، وأعظم رجالاً ، وأكثر قائداً ، فإن التكاثر التفاعل فيكون من إثنين ، يقول كل واحد منهما لصاحبه : أنا أكثر منك مالاً وأعزّ نفراً فكثر بنو عبد مناف بني سهم ، ثم تكاثروا بالأموات فكثرتهم بهم فنزل :

﴿**ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر**﴾ . وهذه هي «المنافرة» .

قاله الكلبي وعن أبي بردة : إنها نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار . . . . . وختم هذه الإطلالة أو المقدمة فقال :

---

(31) بلوغ الأرب ص 264 ـ 270 .

(32) المصدر السابق ص 278 ـ 287 .

وها أنا ذاكر من مفاخراتهم ومنافراتهم لمعاً لأني لو تقصيت ذلك لأفنيت العمر دون الجزء الذي لا يتحزى منه قلّة فأقول : عز أبي عبيدة أنه قدم على النعمان . . . .

. . . .

. . . .

وروى عن ابن الكلبي أنه قال : قال كسرى للنعمان يوماً . . . .

. . . .

وأخبار النعمان بن المنذر مع كسرى كثيرة أورد السيد الألوسي طرفاً صالحاً منها ، وأعقب ذلك بـ «مفاخرة الأوس والخزرج» . ثم ذكر «المنافرات الشهيرة التي وقعت بين العرب في الجاهلية»(33) واستغرقت هذه طائفة كبيرة من الأخبار .

ثم أعقب ذلك قوله في «منافرة بين فزارة وبني هلال»(34) وجاء في لِصقها «قصة الفقعسي وضمرة وما جرى بينهما من المنافرة»(35) ، ثم «منافرة جرير البجلي وخالد بن ارطاة الكلبي»(36) ، ثم «منافرة القعقاع بن زرارة وخالد بن مالك»(37) . ثم «منـافرة هاشم بن عبد قناف وأمية بن عبد شمس»(38) .

وهذه «المنافرات» وإن دلّت في ظاهرها على التكاثر فهي أولاً وآخراً مفاخرة بـل تفاخر يبدي كل طرف من طرفين ظهوره على الآخر في المآثر والأحساب والمشاهد .

17 ـ حكّام العرب في الجاهلية(39) :

وحكّام العرب علماؤهم الذين يحكمون بينهم إذا تشاجروا في الفضل والمجد وعلوّ الحسب والنسب وغير ذلك من الأمور التي تقع بينهم ، وكان لكل قبيلة حَكَم يتحاكمون إليه ، وهم كثير ، وهو ممن عرف بـالفصاحـة واللسن ومعرفـة الأنساب وأيـام العرب وأخبارهم وأشعارهم ، ومنهم :

أكثم بن صيفي بن رَبـاح ، وحـاجب بن زرارة التميمي ، والأقـرع بن حـابس وربيعة بن مخاشن التميمي ، وضمرة بن ضمرة التميمي ، وعامر بن الظرب العدواني ، وغيلان بن سلمة الثقفي ، وهـاشم بن عبد منـاف القرشي ، وعبـد المطلب بن هـاشم

---

(33) المصدر السابق ص 287 ـ 297 .
(34) المصدر السابق ص 297 ـ 298؛ .
(35) المصدر السابق ص 298 ـ 301 .
(36) المصدر السابق ص 301 ـ 306 .
(37) المصدر السابق ص 306 ـ 307 .
(38) المصدر السابق ص 307 ـ 308 .
(39) المصدر السابق ص 308 ـ 338 .

القرشي ، وأبو طالب بن هاشم بن عبد مناف ، والعاص بن وائل القرشيّ ، والعلاء بن حارثة القرشي ، وربيعة بن حذار الأسدي ، ويعمر الشدّاخ الكناني ، وصفوان بن أميّة ، وسلمى بن نوفل الكناني ، ومالك بن جبير العامري ، وعمر بن حُمَمة الدوسي ، والحارث بن عبّاد الربعي ، والقلمّس الكناني ، وذو الإصبع العَدواني . وقد أتى السيد الألوسي بأخبار كل من هؤلاء الذين اتّصفوا بالفضل والعلم والسيادة مستعيناً في ذلك بما ورد في مصادر التاريخ والأدب .

18 ـ حكيمات العرب[40] :

كان في نساء العرب أيام الجاهلية ذواتُ كمال ، ووفور معرفة وذكاء . . . . وقد دوّنت كتب مشهورة في أدبهن ، ومنه :

ابنة الخس الأيادية جاهلية قديمة ، وجمعة بنت حابس الإيادي ، وصُحْر بنت لقمان ، وخصيلة بنت عامر بن الظرب العدواني ، وحَذام بنت الريّان ، وقد أتى السيد الألوسي على أخبار كل من أولئك النساء الشهيرات معتمداً المظان المفيدة .

19 ـ الكلام على أعياد العرب في الجاهلية وأفراحهم[41] :

أعياد الجاهلية هي أعياد الديانات التي سبقت الإسلام ، فقد كانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة . وكانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة ، وكانت المجوسية في تميم . . . . . وكانت الزندقة في قريش (عن ابن قتيبة) .

وقد تكلّم على أعياد المشركين من عبدة الأصنام ، وأشار إلى أن منها مكانية ومنها زمانية . أما المكانية فكثيرة ، وهي مواضع أصنامهم وأوثانهم وأمكنة طواغيتهم . وكانت الطواغيت الكبار التي كانت تشدّ إليها الرحال وتتخذ عيداً ثلاثة : اللات والعُزّى ومَناة الثالثة الأخرى ، قال تعالى : «أفرأيتم اللاتَ والعُزّى ومَناة الثالثة الأخرى ، الكم الذكر وله الأنثى ، تلك إذاً قسمة ضِيزى» .

وكل واحد لمصر من أمصار العرب التي كانت من ناحية الحرم ، ومواقيت الحج ثلاثة : مكة والمدينة والطائف ، فكانت اللات لأهل الطائف . . . . وأما العُزّى لأهل مكّة . . . . وأما مناة فكانت لأهل المدينة . . . . وكا لكل جهة تقليد في عبادة وثن لهم فأهل نجران كانوا يعبدون نخلة طويلة . . . لها عيد وموسم في كل سنة .

وأما الأعياد الزمانية فهي أيام مسراتهم . . . فقد كان لأهل المدينة يومان يلعبون فيهما . . .

(40) المصدر السابق ص 338 ـ 344 .

(41) المصدر السابق ص 344 ـ 370

وكذلك يوم السباسب من أعيادهم ، قال النابغة :

رقـاق النعـال طيّب حجـزاتهم ... يُحيّـون بالـريحان يـوم السبـاسبِ

(ص 344 ـ 348) .

ثم تكلّم على أعياد المجوس ، وهم الفرس ، وشرذمة من العرب وغيرهم . وأتى فيه على النيروز والمهرجان والقلنداس . . . . (ص 348 ـ 357) .

ثم تكلّم عـلى أعيـاد القبط والنصـارى ، وأشـار إلى «عجـائب المخلوقـات» لشهاب الدين الحموي .

وأتى فيه على «البشارة» و«الزيتونة» و«الفصح« و«خميس الأربعين ، السلاق» و«عيد الخمسين» و«عبد الميلاد» و«عيد الغطاس» وأعياد صغيرة أخرى . وأشار إلى طقوسهم في هذه الأعياد (ص 357 ـ 361) .

ثم تكلّم على أعياد اليهود مفيداً من كتاب الحموي المُشار إليه .

وأتى على «عيد رأس هيشا» و«عيد صوماريا» و«عيد المظال» و«عيد الفطر» و«عيد الأسابيع» ويسمّى «العنصرة» و«عيد الخطاب» و«عيد الحنكة» . . . . (ص 361 ـ 364) .

ثم تكلّم على أعياد المسلمين .

وهما عيد الأضحى في يوم الأضحى ، وعيد الفطر في يوم الفطر ، وقد أبدلها اللّه بالنيروز والمهرجان . (ص 364 ـ 366) .

وقد أشار إلى ما كانوا يصنعونه في أعيادهم ومواسمهم كلبس الثياب الجديدة والحلل والبرود ، وما يمارسه صبيانهم من اللعب ، وما كانوا يرددونه من أغانٍ وأهازيج يصحبونها بالدقوق والمزاهر . . . .

وقد تكلّم على أصول فن الشعر وعلاقته بالغناء والحداء (ص 367 ـ 370) .

20 ـ الكلام على عادات عرب الجاهلية في المأكل والمشرب :

وقد أشار إلى أخبار ما كانوا ينحرونه من الإبل إذا ما طرقهم الضيف ، وكان هذا قد اقتضاه أن يورد نماذج من الشعر . وقد تكلّم على الطعام وأشار إلى أن العرب كانوا يقلّون من الأكل ، وقالوا : البطنة تذهب الفطنة .

وأتبع ذلك بطائفة من الكلم الدالة على كثرة الأكل وترتيبه (ص 370 ـ 379) .

ثم تحوّل إلى مطاعمهم الشهـيرة من اللحوم والسويق والألبان وغيرها كالقالوذج والسخينة والحريقة والغريقة والتلبينة وغيرها كثير. ثم أشار إلى «ولائم العرب» وأوانيهم المميزة ، وعاداتهم في الشرب (ص 380 ـ 390) .

21 ـ ثم تحوّل إلى مادة «المياه» .

وتكلّم على ما يعتبر به جودة الماء عند العرب ، وذلك من عشرة طرق ، أحدها من لونه ، الثاني من رائحته . . . الثالث من طعمه ، الرابع من وزنه أن يكون خفيفاً رفيق القوام ، الخامس من مجراه بأن يكون طيب المجرى والمسلك ، والسادس من منبعه بأن يكون بعيد المنبع ، السابع من بروزه للشمس والريح بأن لا يكون مختفياً تحت الأرض فلا تتمكن الشمس والريح من قصارته ، الثامن من حركته ، التاسع من كثرته . . ، العاشر من مصبّه بأن يكون آخذاً من الشمال إلى الجنوب ، أو من المغرب إلى المشرق ، ثم أتبع هذا بفوائد الماء وكيف يشرب ، وتأثيره في البدن . . .

(ص 390 ـ 392) .

22 ـ المياه المشهورة عند العرب .

ومنها ماء الغيث وماء (الثلج) و(البَرَد) و(الجمَدَ) . ومنها ماء (الآبار) و(القناء) و(العيون) وهذه المياه غالب مياه العرب . وأشار إلى أن اللغويين اهتموا بجميع «مياه العرب» .

ثم قال : وأردؤه ما كانت مجاريه من رصاص ، أو كانت بئره معطلة ولا سيما إذا كانت تربتها رديئة ، فهذا الماء دنِيء وخيم . . .

(ص392 ـ 393) .

23 ـ وتكلّم على أواني العرب .

وطريقتهم في الشرب وتقديم الأيمن مشيراً إلى قول عمرو بن كلثوم :

صددت الكأس عنا أمّ عمرو   وكان الكأس مجراها اليمينا

وتكلّم على عاداتهم في سقي إبلهم ، كما تكلّم على قول الأطباء في قيمة الماء للبدن .

وختم هذا الفصل الواسع بفائدة علمية هي :

تحلية الماء

قال : كان لهم طرق من العلاج لدفع مضرة ماء البحر إذا اضطر أحد منهم إلى شربه ، منها أن يجعل في قدر ، ويجعل فوق القدر قصبات وعليها صوف جديد منفوش ، ويوقد تحت القدر حتى يرتفع بخارها إلى الصوف ، فإذا كثر عَصَرَه من عمل ذلك . ولا يزال على هذا العمل حتى يجتمع له ما يريد فيكون في الصوف من البخار ما عذب، ويبقى القدر الزُعاق .

ومنها : أن يُحفَر على شاطئه حفرة واسعة يرشح ماؤه إليها ، ثم إلى جانبها قريباً منها أخرى ترشح هي إليها ، ثم ثالثة إلى أن يعذب الماء .

ولهم في تصفية الماء ودفع كدورته حيل ، وذلك إذا الجأت أحدهم الضرورة إلى شرب الماء الكدر ، ألقى فيه قطعة من خشب الساج أو جمراً ملتهباً يطفأ فيه ، أو طيناً أرمنياً ، أو سويق حنطة فإن كدورته ترسب إلى أسفل .

أقول : وهذه الفوائد الطرائف تظهر حذق العرب في توفير ما يحتاجون إليه ، وهي ممارسات علمية جدير بالنظر . وكنت أود لو أن السيد الألوسي قد أشار في هذا إلى مصدر قديم .

وهذه الطرائف كثيرة في هذا الكتاب الذي يشتمل على عدة موضوعات ، ومن هنا كان علينا ألا ندرجه في باب الكتب التاريخية ، ذلك أن هـذه الصفة تضيّق من آفـاقه الرحبة .

إنتهى الجزء الأول من كتاب «بلوغ الأرَب» وسنأتي إلى الجزء الثاني .

مصادر الجزء الأول[1]

1 ـ مقدمة ابن خلدون .

2 ـ الصحاح للجوهري .

3 ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب لأبي العباس أحمد بن عبد اللّه الشهير بابن أبي غدّة .

4 ـ كتاب الإقتضاء لابن تيمية .

5 ـ فتح الباري في شرح البخاري لابن حجر .

6 ـ تاج العروس للزبيدي .

7 ـ أنساب الأشراف للبلاذري .

8 ـ الأغاني لأبي الفرج .

9 ـ مفتاح العلوم للسكاكي .

10 ـ خزانة الأدب للبغدادي .

11 ـ الكتاب لسيبويه .

12 ـ الموشح للمرزباني .

13 ـ شرح الكافية للرضي الأستراباذي .

14 ـ كتاب الروضة للمبرد .

15 ـ كتاب الملاحن لابن دريد .

16 ـ معاني الشعر للأشنانداني .

---

(1) هذه المصادر التي وردت بأعيانها في «بلوغ الأرب» مصرّحاً بأسمائها ، وما دلّ عليه الشارح الأستاذ الأثري في تعقبّه للنصوص ، أما الإشارات إلى كتب الأدب والتاريخ والبلدان والتفسير واللغة والبيان والبديع ، والأحكام وغيرها فكثيرة ، وقد تكون الإشارة دالّة على كتاب بعينه .

17 ـ أقوم المسالك . . . ؟ .

18 ـ القاموس المحيط للفيروز أبادي .

19 ـ شرح درة الغواص للخفاجي .

20 ـ الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس .

21 ـ ديوان الحماسة لأبي تمام ، وشروحها .

22 ـ المصباح المنير للفيومي .

23 ـ العقد الفريد لابن عبد ربه .

24 ـ الحماسة البصرية(2) لصدر الدين أبي الفرج بن الحسين .

25 ـ الكامل للمبرد .

26 ـ مجمّع الأمثال للميداني .

27 ـ أطعمة العرب للجاحظ .

28 ـ الروض الأنف للسهيلي .

29 ـ جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار .

30 ـ كتاب الكنايات للثعالبي .

31 ـ الأمالي لأبي علي القالي ، وشرحه للبكري .

32 ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي .

33 ـ كتاب الأوائل لإسماعيل بن هبة اللّه الموصلي .

34 ـ طبقات الشعراء لابن سلام .

35 ـ مثالب العرب لأبي عبيدة .

36 ـ القُرب في محبة العرب للحافظ العراقي .

37 ـ كتاب الرد على الشعوبية لابن قتيبة .

38 ـ وفيات الأعيان لابن خلكان .

39 ـ تاريخ مكّة للأزرقي .

---

(2) في هذه المصادر قدر كبير من الأصول المخطوطة ، وقد طبع شيء منها بعد الألوسي بزمان طويل

40 ـ تاريخ المدينة للسمهودي .

41 ـ بلاد العرب للغدة الأصفهاني .

42 ـ كتاب نشر المحاسن اليمانية (لم يذكر مؤلفه)

43 ـ المختلف والمؤتلف لابن الشجري .

44 ـ صفة جزيرة العرب للهمداني .

45 ـ معجم البلدان لياقوت .

46 ـ تاريخ اربل لابن المستوفى .

47 ـ معجم ما استعجم للبكري .

48 ـ شرح سفر السعادة للسخاوي .

49 ـ منافرات العرب لأبي عبيدة[3] .

50 ـ شرح المقامات للشريشي .

51 ـ النوادر لابن الأعرابي .

52 ـ فرحة الأديب لأبي محمد الأعرابي .

53 ـ المعمرين لأبي حاتم .

54 ـ أمالي الشريف الرضي[4] .

55 ـ كتاب الأصنام لابن الكلبي .

56 ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير .

57 ـ عجائب المخلوقات لشهاب الدين الحموي .

58 ـ ربيع الأبرار للزمخشري .

---

(3) لعلّه شيء من كتاب «أيام العرب» .

(4) لعله المرتضى .

بلوغ الأرب

الجزء الثاني

تابع للحالة الإجتماعية

24 ـ الكلام على عوائد العرب في الإزدواج والتناكح أيام الجاهلية[1] :

قال السيد الألوسي :

كان النكاح في الجاهلية على أنحاء: فنكاح منها نكاح الناس اليوم ، يخطب الرجل إلى الرجل وليّته أو ابنته فيُصدقها ، أي يعينّ صداقها ، ويسمي مقداره ثم يعقد عليها ، وكانوا يخطبون المرأة إلى أبيها أو أخيها أو عمّها أو بعض بني عمها ، وكان الخاطب يقول إذا أتاهم : أنعموا صباحاً . . . .

. . . .

وإذا زوِّجت في غربة قال لها : لا أيسرتِ ، ولا أذكرت ، فإنك تدنين البعداء أو تلدين الأعداء ، أحسني خُلُقك ، وتَحبّي إلى أحمائك . . .

. . . .

ويمضي السيد الألوسي فيذكر الأنكحة الأخرى ، وهي :

نكاح الإستبضاع وهو معروف، وأنكحة أخرى ومنها نكاح الشغار وهو أن يزوِّج الرجل ابنته على أن يزوِّجه الآخر ابنته ليس بينهما صداق . . . . . . ونكاح المتعة وهو معروف .

ومن الطريف ما يكون في البغاء ، وذلك أن يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها ، وهن البغايا ، وكنّ ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً ، فمن أرادهن دخل عليهن . فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاطه به ودُعي ابنه لا يمتنع من ذلك .

و«القافة» جمع قائف وهو الذي يعرف شبه الولد بالوالد بالآثار الخفية . اجتزيء بهذا القدر مما ذكر السيد الألوسي من «الأنكحة» .

ثم تكلّم على «مقاصد العرب من الزواج» (ص 6 ـ 13) .

---

(1) بلوغ الأرَب ص 3 ـ 5 .

وهذه المقاصد في جملتها ترمي إلى بناء الأسرة الصالحة .

25 ـ الكلام على ما يستحسن من المرأة لدى العرب خَلْقاً وخُلُقاً[1] :

وقد جمع فيه أخباراً كثيرة جمعها من مصادر الأدب أشار إلى أحدها فقال : «وعن ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن [ابن أخي الأصمعي] عنن عمّه [الأصمعي] قال : وصف أعرابيّ نساءً فقال : يلتثمن على السبائك . . . . (ص 14 ـ 17) .

تعليق : أقول : وقوله «وعن ابن دريد» يشير إلى كتابه «الوشاح» .

ثم قال :

وأحسن ما رأيت من وصف النساء خَلْقاً وخُلُقاً ما ذكره كثير من أئمة الأدب ، ومنهم الميداني في كتابه «**مجمع الأمثال**» عند قولهم : «ما وراءك يا عصام» قال : أوّل من قال ذلك الحارث بن عمرو ملك كندة ، وذلك أنه لما بلغه جمال ابنة عوف بن محلّم وكمالها وقوة عقلها دعا امرأةً من كندة يقال لها عصام

. . . .

تعليق : أقول واستوفى الكلام في ثلاث صفحات هذا الكلام الذي ذكره الميداني ، وقال : ومثل ذلك في «عقد» الأندلسي .

و«عقد» الأندلسي هو «**العقد الفريد**» لابن عبد ربّه. وختم كلامه بالقصيدة الداليّة المشهورة التي مطلعها :

هل بالطلول لسائل ردُّ   أم هل لها بتكلّمٍ عهدُ

غير أنه لم يذكر هذا المطلع فبدأ من قول صاحبها :

بيضاء قد لبس الأديـ   ـمُ الحسنَ ، فهو لجلدها جلد

إلى آخر هذه القصيدة التي قيل فيها أنها تنازعها نيف وثمانون شاعراً ، وقد نسبت كثيراً إلى دوقلة المنبجي .

26 ـ النعوت المذمومة في المرأة عند العرب خلقاً وخُلقاً[3] :

أقول : ونستطيع أن نثبت أن ما ذكره في هذا من الكلم والصفات والأشعار قد ورد في الكتب الموسومة بـ «المحاسن والمساوىء» و«المحاسن والأضداد» وغيرها من مصادر الأدب .

---

(2) المصدر السابق ص 13 ـ 21 .

(3) المصدر السابق ص 22 ـ 25 .

27 ـ ما ورد عن عرب الجاهلية في الزوج من الصفات المحمودة وغيرها[4] :

بدأ الكلام بما قاله ابن دريد قال : حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عنن ابن الكلبي عن أبيه قال : . . . .

أقول : وهذا من غير شك مما أورده ابن دريد في «الوشاح» .

والخبر كله حديث بين نساء أقيال حمير وبين بنت اختصها قَيل من الأقيال بعنايته ، والحديث كله في الصفات المحمودة وما هو ضدها .

وقد استوفى أربع صفحات ، وأعقبه بكلام على ذي الإصبع العَدوانـي ، حكم العرب ، وبناته الأربع . . . .[5] .

أقول : والحديث في «الأغاني» (التقدم) 3/94 .

وقد أورد في لِصقة حديث النسوة اللاتي أخبرن عن أحوال أزواجهن[6] :

28 ـ وقد أورد حديث عشر من هؤلاء، وأعقبه بحديث الحادية عشرة فقال : وهي عاتكة كما قال ابن دريد في «الوشاح» .

تعليق :

أقول الذي أعرفه أن «الوشاح» غير مطبوع إلى زماننا ، ولا أقطع بذلك فقد يكون حاشية في كتاب مطبوع من الكتب القديمة . أو لعله كتاب «الأمالي» لابن دريد نفسه .

وقد استوفى الحديث في «عاتكة» هذه وأورد فيه روايات أخرى منها رواية الطبراني ، ومـا قالـه ابن الأنباري وابن السكيت في شرح أجـزاء من الحـديث . كـما أورد قـولاً لأبي سعيد ، وهو إمـا أبو سعيـد الضرير أو أبـو سعيد السـيرافي !! وكذلـك أبو عبيـد القاسم بن سلام ، والمبرّد والأصمعي والخطّابي . . . .

29 ـ طلاق العرب في الجاهلية وعدة نسائهم[7] :

قال : والطلاق في الجاهلية ثلاث على التفـرقة ، واستمسـك بالأثـر وما ورد في أشعارهم كقول الأعشي حين تزوج امرأة فرُغب بها عنه ، فأتاه قومها فهددوه بالضرب أو يطلقها ، فقال :

---

(4) المصدر السابق ص 26 ـ 35 .

(5) ذكر هذا الشريف المرتضى في «أماليه» 178/1 .

(6) المصدر السابق ص 35 ـ 48 .

(7) المصدر السابق ص 48 ـ 51 .

أيـا جـارتي بيني فـانـكِ طـالقـهْ　　كـذاك أمـور النـاس غـادَ وطـارقـهْ

. . . .　　. . . . .

. . . .　　. . . . .

وقال : وكانوا يخلعون نساءهم أيضاً ، والخلع فراق الزوجة على مال . . . . ودكر ابن دريد في «**أماليه**» : أن أول خلع كان في الدنيا أن عامر بن الظَرِب ، زوَّج ابنته من ابن أخيه عامر بن الحارث بن الظرب ، فلما دخلت عليه نفرت منه فشكا إلى أبيها . . . .

وقال الشافعي : سمعت من أرضى من أهـل العلم بالقـرآن يقول : كـان أهل الجاهلية يطلِّقون بثلاث (الظهار) و(الإيلاء) و(الطلاق) فأقر اللّه تعالى الـطلاق طلاقـاً وحكم في الإيلاء والظهار بما بيّن في القرآن . . . .

أقول : وقد شرح الإيلاء والظهار مسترشداً بما ورد عن الأئمة . . .

30 ـ بيان ما كان للعرب في هذا الباب مما أبطلته الشريعة[8] :

قال السيد الألوسي :

كانت العرب في جاهليتها تحرِّم أشياء نزل القرآن بتحريمها ، كانوا لا ينكحـون الأمهات ولا البنات ولا الخالات ولا العمّات ، إلاّ ما يحكى أن حاجب بن زرارة ، وهو سيد بني تميم تزوّج بنته وأولدها . وقد كان سمّاها «دختنوسُ» باسم بنت كسرى ، فقال فيها حين نكحها مرتجزاً :

يـا ليت شعري عنـكِ دختنـوسُ　　إذا أتـاهـا الخـبر المـرمـوس

أتسـحـب الـذيـلين أم تمـيس　　لا بـل تمـيس إنّهـا عـروسُ

تعليق :

أقول : كأن مصدر الخبر الأغاني (38/10) وفيه أن البيتين قد نسبـا إلى لقيط بن زرارة . قال أبو الفرج : دخنتوس بنت لقيظ بن زرارة ، وكانت تحت عمرو بن عمرو بن عدس ، وكذلك ذكر المجد في «القاموس» والزمخشري في «الأساس» في (ر م س) .

قال المؤلف :

وكان أقبح ما يصنع بعضهم أن يجمع بي الأختين .

وقال : ومن قبيح ما كانوا يفعلون أن يخلف الرجل على امرأة أبيه ، وكانوا يسمّون من فعل ذلك «الضَيزَن» .

ونكاح المقت معروف وقد أبطله الإسلام ، قال تعـالى : ﴿ولا تنكحوا مـا نكح

(8) المصدر السابق ص 52 ـ 54

آباؤكم من النساء إلّا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا﴾، ويسمّى الولد منه «مقتيّ» أو «مقيت» .

وقد أتى السيد الألوسي بأخبار هذه الأنكحة الجاهلية الفاسدة التي حرّمها الإسلام .

31 ـ ومما أبطله الشرع من عوائدهم في هذا الباب[9] :

قال السيد الألوسي :

إنهم كانوا يطلّقون النساء حتى إذا قرب انقضاء عدتهن راجعوهن لا عن حاجة ولا لمحبة ولكن لقصد تطويل العدّة وتوسيع مدة الإنتظار ضراراً ، وكان الرجل يطلّق امرأته أو يتزوج ، أو يعتق ويقول : كنت لاعباً ، فأبطل الإسلام ذلك وردّه عليهم بقوله ـ سبحانه ـ «وإذا طلّقتم النساء فأمسكوهن بمعروف أو سرّحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ، ومن يفعل ذلكم فقد ظلم نفسه» .

وفي الحديث . «ثلاث جدّهنّ جدّ ، وهَزلُهنّ جدّ : النكاح والطلاق والرجعة» ومن ذلك أنهم كانوا يمنعون النساء أن يتزوجن من أردن من الأزواج بعد انقضاء عدّتهن حمية جاهلية ، كما يقع كثيراً من نحو الملوك غيرةً على من كُنّ تحتهم من النساء أن يصرن تحت غيرهم بسبب ما نالوه من رياسة الدنيا . . . . .

وقد أبطل اللّه تعالى ذلك ونهى عنه بقوله : **﴿وإذا طلّقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهنّ أن ينكحن أزواجهنّ إذا تراضوا بينهم بالمعروف﴾** .

. . . .

حروب العرب في الجاهلية
وحروب غيرهم من الأوائل

32 ـ أعلم أن الحروب والمقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة . . . . .

فإذا تذامروا وتواقفت الطائفتان ، إحداهما تطلب الإنتقام والأخرى تدفع كانت الحرب . . . . . وهذا يجري بين القبائل ، وسبب هذا الإنتقام . . . أما غيرة أو منافسة . .

وقد يكون من العدوان وأكثر ما يكون من الأمم الوحشية الساكنين بالقفر كالعرب والترك والتركمان والأكراد . . .

وقد يكون جهاداً في سبيل ، وقد تكون الحرب بين الدول والخارجين عليها .

وقد توسع في بسط هذه الحروب . . . . (ص 56 ـ 58) .

---

(9) المصدر السابق ص 58 ـ 64 .

32 ـ ومن مذاهب الكرّ والفرّ في الحروب[10] :

ضرب «المصاف» وراء عسكرهم من الجمادات والحيوانات العجم فيتخذونها ملجأً للخيّالة في كرّهم وفرّهم يطلبون بها ثبات المقاتلة ليكون أدون للحرب وأقرب إلى الغلب . وقد يفعله أهل الزحف أيضاً ليزيدهم تباتاً وشدّة ، فقد كان الفرس ، وهم أهل الزحف ، يتخذون الفيلة في الحروب ، ويحملون عليها أبراجاً من الخشب أمثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح والرايات ، ويصفّونها وراءهم في حومة الحرب . . .

أقول : ثم مضى السيد الألوسي يبسط صنعة الأمم في الحروب . . .

وقال : وأول من أبطل الصف في الحروب وصار إلى التعبئة كراديس مروان بن الحكم في قتال الضحاك الخارجي . . . قال الطبري ·

. . . .

وأشار إلى علم علي بن أبي طالب في الحرب مما يستفاد من وصيته لأصحابه يوم «صفين» قال في كلام له :

« . . . . فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص ، وقدّموا الداع وأخّروا الحاسر . . . . »[11] .

33 ـ آلات العرب في الحروب :[12]

وفي هذا مضى السيد الألوسي معتمداً على كتب التاريخ في ذكر آلات الحرب كالسيوف ، والرماح والسهام والدروع كالبيضة والمجن ، واستعمال الراية واللواء . . . .

34 ـ أيام العرب المشهورة :[13]

قال : وقد ناسب هنا أن نذكر «أيام العرب» ونثبت بعض وقائعهم على سبيل الإختصار ، ولم استقصها فإنّ **أبا عبيدة** وغيره قد فرغوا مما ذكرت حتى انّ **أبا الفرج الأصبهاني** قد استقصى حسب إمكانه أيامهم في كتاب أفرده لذلك فكانت ألفاً وسبعمائة يوم . . .

ثم مضى في ذكر طائفة من تلك الأيام ، والكلام على كل منها . أقول · وفي «معجم البلدان» ذكر لطائفة من أيامهم ، وكذلك في «العقد الفريد» 253/3 (طبع الجمالية) . وفي

---

(10) المصدر السابق ص 58 ـ 64 .

(11) انظر هذه الوصية في «نهج البلاغة» .

(12) المصدر السابق ص 62 ـ 68 .

(13) المصدر السابق ص 68ـ 75 .

كتاب «العمدة» لإبن رشيق و«الأغاني» لأبي الفرج ، و«الكامل» لابن الأثير كلام كثير في أيام العرب[14] .

35 ـ خيل العرب وما يحمد منها ويذمّ :[15]

أقول : لقد أفاض السيد الألوسي في هذا الفصل الذي يكاد أن يكون كتاباً برأسه ، وذلك لأن مصادر الخيل لدى المؤلفين القدامى كثيرة فقد صنف فيها ابن الأعرابي والأصمعي وغيرهما .

لقد أشار السيد الألوسي إلى ورود الخيل في جملة آيات بينات وفي الحديث الشريف . ثم اعقب ذلك بطائفة كبيرة من شعر الجاهليين .

ثم انصرف إلى ما يحمد منها مؤيداً ذلك بنوادر الأخبار ، وما يذم منها بحسب ما اتفق عليه رأيهم . (ص 82ـ 93 .

وتحول إلى ما ورد في سير الخيل وعدوها ، وهو ضرب من كلم قديم (ص 93ـ 94) ثم كانت «ألوان الخيل» «وشياتها» ، (ص 94ـ 97) .

و «لسوابق» الخيل نصيب من هذا الباب ، وهو لغة وأدب ، قل أن تجد نظيره في لغة من اللغات . (ص 97ـ 101 .

وينتهي هذا بـ«الحلبة والرهان» (ص 102ـ 104) . ولا بد من وقفة طويلة على «خيل العرب المشهورة» (ص 104ـ 123 .

تعليق :

أقول : إن هذا الدرس الذي أوعبه السيد الألوسي «كتابه» كان عملاً علمياً اقتضته الإفادة من جملة مظان فقد قال :

«قد أفرد أبو محمد الأعرابي الغندجاني[16] ، وهو اللغوي الشهير ، كتاباً ذكر فيه أسماء خيل العرب الفحول والحجور التي نَجَلَت وأنجبَت وتفرَّق نجلها في العرب ، وأنها لمن كانت في بدء أمرها وإلى من صارت ، وفيمن صار نجلها من العرب . . . وأسماء خيل العرب التي ذكرت بأنفسها ولم يذكر نجلها . وقد رتبه على ولاء الحروف المعجمة ليسهل على المطالع مرامها ، وينقاد إليه زمامها .

وفي الحقيقة أن هذا الكتاب لم يسبق إليه مؤلفه . وقد طالعته مراراً فوجدته صغيراً في بابه . ولا بأس أن نذكر منه نبذة يسيرة تكون كالأنموذج .

---

(14) كتب أبو عبيدة في «أيام العرب» كتاباً ضخماً أتى فيه على الكثير . لم يصدر إلينا ولكننا نقف على كثير منه في مصادر الأدب والتاريخ

(15) المصدر السابق ص 75ـ 161

(16) كتاب أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها ، لأبي محمد الأعرابي المعروف بالأسود الغندجاني . حققه الدكتور محمد علي سلطاني (مؤسسة الرسالة) .

1 ـ في هذا الباب ، فمن مشاهيرها «أعوج الأكبر» لغني بن أعصر ، قال بشر بن أبي خازم يفتخر ببنات أعوج :

وبكل أجرد سابح ذي ميعةٍ متماحلٍ في آل أعوجَ ينتمي

وقال طفيل بن عوف :

....

أقول : وهكذا مضى السيد الألوسي في إيراد هذه «النبذة» التي أوجز بها كتاب الغندجاني ، كما اقتبس من غيره من كتب الخيل .

ومضى يذكر الخيل المشهورة مفيداً من كتاب الغندجاني وغيره من الكتب فذكر :

2 ـ «الأعـر» وهو لبلعاء بن قيس الكناني ، .... و«الأشقر» ، كان لقتيبة بن مسلم ، فبعث به إلى الحجّاج ....

2 ـ و«الأحزم» فرس نُبيشة بن حبيب السلمي ....

4 ـ و«الأزور» فرس عبد الله بن حازم السُلَمي ، قال فيه : ....

5 ـ و«البيضاء» فرس قعنب بن عتّاب ... قال بعض الشعراء :

.... (17)

قال أبو بكر بن دريد :[18] هي فرس بُجَير وفيها يقول الشعر . قال أبو محمد [أي العندجاني] قلت : الصحيح أنها لقعنب وذلك أنه إلتقى هو وبجير بن عبد الله بن سلمة بن قشير بن كعب بعكاظ ، والناس متوافرون ، فقال بُحير لقعنب · يا قعنب ، كيف شكرك للبيضاء ؟ قال قعنب : وما عسيت أن أشكرها ، قال : ولِمَ لا نشكرها وقد أنجتك مني ؟ قال : ومتى ذاك ؟ قال بُجَير : حيث أقول :

أمخـرمـي ريبُ المنـون ولم أرع شعث النواصي سرْحَ عمرو بن جندبِ

ثلاثة أبيات :

قال أبو عبيدة : فأنكر ذلك قعنب فتحالفا وتلاعنا فآلى قعنب يميناً لئن اجتمع سقفي وسقفك (أي شخصي وشخصك) لأقتلنكِ أو أقتل دونك . وله حديث فيه طول . وقتل قعنب بجيراً في يوم المَرَوت ، ويسمّى «يوم إرَم الكلبة» .

6 ـ و«بُرْحه» فرس لسنان بن حارثة المُرّي قال فيها : بيتان . وقال فيها أيضاً : بيت .

7 ـ و«البرّيت» فرس إياس بن قبيصة الطائي ، قال حارثة بن أوس الكلبي : بيتان .

---

(17) أضاف السيد الألوسي شيئاً أفاده من ابن دريد ، وأظنه في «الجمهرة» ، وهو من كلام أبي محمد الغندجاني ، ولم يرد في النسخة المطبوعة التي كنا أشرنا إليها .

(18) قلت : لقد خلت المطبوعة من قول ابن دريد هذا ، ويعني هذا أن النسخ الأصول التي اعتمدها المحقق ناقصة فكان يحسن بل يجب الإستدراك عليها من هنا .

وقال أبو بكر بن دريد:[19] هو البُريت بضم الباء وتخفيف الراء وأنشد الشعر على غير ما أنشده أبو محمد :

ونَجَّى إياساً سابح ذو عُلالةٍ ملحّ إذا يعلو الحَزابيَّ يغلِبُ

أربعة أبيات

و«البَرخاء» لعوف بن الكاهن الأسلمي ، قال فيها : بيتان .

8 ـ و«جِروة» فرس قعين بن عامر النميري ، قال فيها : ثلاثة أيات .

9 ـ و«الحرون»[20] بن الأثاثي بن الخزز بن ذي الصوفة بن أعوج ، وهو لمسلم بن عمرو الباهلي أبي قتيبة بن مسلم ، وإنما سُمّي «الحرون» لأنه كان يسبق الخيل فإذا فاتها حَرَن ، وإذا لحقته نجا ثم يجرن وله يقول القائل :

إذا ما قريش خلا ملكها فإنّ الخلافة في باهلهْ

وبعدهما تمام الكلام .

10 ـ و«حُزمة» . . . .[21] .

11 ـ و«حومَل» فرس لحارثة بن أوس الكلبي، ولها يقول يوم هُزمت بنو يربوع بني عبدود من كلب : بيتان .

12 ـ و«الحفار» فرس سراقة بن مالك الكتاني قال فيه : بيتان .

13 ـ و«الحسامية» لحميد بن حريث بن بحدل الكلبي ، قال فيها شبيل بن الجنّار العميري : أربعة أبيات .

14 ـ و«خصاف» لسمير بن ربيعة الباهلي، ويسمى فارس خصاف . . . قال بعض الشعراء : بيتان .

15 ـ و«خَصاف» فرس أنثى لمالك بن عمير الغساني . . . . .

16 ـ و«خَصاف» لحمل بن بدر . . . .

17 ـ و«خراج» فرس جريبة بن الأشيم الأسدي، قال فيها: بيت . . . قال أبو الندى وابن الأعرابي : هو بالتخفيف . . . . وأنشد لجريبة أيضاً : بيتان . . .[22] .

18 ـ و«درهم» فرس خِداش بن زهير العامري ، قال فيه : ثلاثة أبيات[23] . . .

---

(19) خلت المطبوعة من كلام ابن دريد هذا

(20) لم أجده في المطبوعة . غير أن المحقق ذكر في «مستدركه» على حرف الحاء «الحرون» وهو فرس لعقبة بن مدلج عن «المخصص» 6/195

(21) ونص «بلوغ الأرب» يختلف كثيراً عما ورد في المطبوعة ، وفيه أبيات خلت منها المطبوعة ، وفيه قول لإبن دريد أشار فيه إلى أبي محمد العندجاني ، وهذا يعني أن النسخة التي اقتبس منها السيد الألوسي نسخة أخرى وهي أتم وأوفى .

وجاء «الحرون» وهو فرس آخر في مستدرك المحقق عن ابن الأعرابي (كتاب الخيل ص 77) .

(22) لم يرد كله في المطبوعة .

(23) لم يرد كله في المطبوعة

19 ـ و«دعلج» فرس عبد عمرو بن شريح بن الأحوص . . . قال فيه يوم فيف الريح : بيتان[24] . .

20 ـ و«دُباس» فرس جبّار بن قُرط الكلبي ، قال فيه : ثلاثة أبيات . . .

21 ـ و«العرادة» لهبيرة بن عبد مناف اليربوعي ، واشتهر بابن الكلحبة ، والكلحبة أمّه ، وهو الذي يقول في العرادة : ستة أبيات . . . . . .

. . . . [25]

ومضى السيد الألوسي في خبر العرادة ، وما قيل فيها وسبب الأبيات ، وأطال في الشرح الذي استوعب صفحتين (ص 114 ـ 116) .

22 ـ و«الغرّاف» للبراء بن قيس . . . اليربوعي ، قال فيه :

فإنْ يـكُ غـرّاف تبـدَّل فـارساً سوايَ فقد بـدّلتُ منه السَميـدَعا

خمسة أبيات[26] . . .

23 ـ الكاملة[27] لعمرو بن معدي كرب عرضها على سلمان بن ربيعة الباهلي فهجّنها سلمان فقال عمرو : «إن الهجين يعرف الهجينا» ، وأنشأ يقول : بيتان . . .

24 ـ و«الكلب» فرس عامر بن الطفيل ، وكان يسمى «الورد» و«المزنوق» . . . قال عامر : ثلاثة أبيات . . .

25 ـ و«المحبّر» فرس ضرار بن الأزور الأسدي ، وهو قاتل مالك بن نويرة[28] ، وكان يقال له : فارس المحبّر قال فيه : خمسة أبيات . .

26 ـ و«المرهوب» للجُميح بن الطمّاح الأسدي . . . قال فيه الجميح أربعة أبيات . . .

27 ـ و«النعامة» وهو اسم لعدة أفراس ، اسم لفرس الحارث بن عُباد ، ولها يقول :

قـرِّبـا مـربَط الـنعـامـة مـني لقِحَت حـربُ وائـلٍ عن حِيـال

28 ـ واسم فرس خالد بن نضلة الأسدي ، وقال يوم النسار . . .

نـدارك إرخـاء النعـامـة حنشـراً . . . .

---

(24) واستدرك محقق فرساً آخر يقال له «دَعلج» عن شرح الحماسة للمزروقي ق/ح 1/ 153ـ 154 ، وعن القاموس المحيط (دعلج) .

(25) لم أجد هذا في المطبوعة ، بل وجدت . العرادة فرس أبي داود الإيادي ، ولها يقول : قرِّبا مرْبط العرادة أن الحرب فيها تلاتل وهموم ص 166 وكذلك للربيع بن زياد الكلبي ، قال : الرجز

(26) وجاء في مستدرك المحقق (ص 189) . العرّاف فرس خزر بن لوذان . . . . (ابن الأعرابي قال : وهو الغراف بن النعامة ، وكانت النعامة لخزر بن لوذان .

وهو الغرّاف لخزر بن لوذان في «المحصص» 2/197 .

(27) في المطبوعة : بنت النعيت .

(28) المشهور في التاريخ والسير أن الذي قتل مالكاً خالد بن الوليد (تاج العروس) .

29 ـ واسم فرس لمرداس بن معاذ الجُشَمي . . . . قال :

خمسة أبيات . . . .

30 ـ واسم فرس مسافع بن عبد العزّى الضمري ، قال :

بيتان . . . .(29) .

31 ـ و«ابن النعامة» فرس عنترة وكان يؤثره على سائر حيله ويسقيه اللبن وكانت امرأته تلومه على ذلك فخاطبها وقال : (30)

لا تـذكـري فـرسي ومـا أطعمتـه ... فيكونَ جلدكِ مثلَ جلد الأجرب
إن الغَبـوقَ لـه وأنـت مَسـوءةً ... فتـأوَّهي مـا شئـت ثم تحـوَّبي
كَـذَب العتيقُ ومـاءشن بـارد ... إن كنتِ سائلتي غَبوقاً فـاذهبي
إن الـرجـالَ لهم إليـكِ وسيلة ... إن يـأخـذوك تكحَّـلي وتخضَّبي
ويكون مركبـكِ القَعود وحِـدْجَه ... وابن النعـامة عنـد ذلـك مـركبي
وأنـا امـرؤ إنْ يـأخـذوني عَنـوةً ... أُقـرَنْ إلى شرّ الـركـابِ وأجنَبِ
إني أحـاذرُ أن تـقـول ظعينـتي ... هـذا غبـار سـاطـع فَتَـلَبَّبي

وقد عقب السيد الألوسي على هذه الأبيات فقال :

وهذه أبيات بعيدة المرمى تحتاج إلى كشف وبيان . . . أقول : كأنما أعجب السيد الألوسي بالأبيات لدلالتها على انصراف الإنسان إلى فرسه انصرافاً جعله يؤثره على زوجه .

وهي عندي جديرة بالنظر والوقوف على ألفاظها ومراميها ، ودلالتها الإنسانية ، ولذلك آثرت إيرادها كما أوردها المصنف .

---

(29) في «المطبوعة» هي فرس أبي بن حلف عن أبي الندى

وجاء في «المطبوعة أيضاً» أن «النعامة» لكدي بن عمرو الكندي ، قال : البيت . «والنعامة» لعبيبة بن أوس المالكي ، هو «فارس النعامة» ، قال ؛

خمسة أبيات . . . .

وجاء أيضاً ص 249 : النعامة فرس الأسدي .

أقول : لعل هذا وهم من الناسخ لأن «النعامة» فرس خالد بن نصلة الأسدي قد تقدّم ذكرها في المطبوعة ، وفي «بلوغ الأرب» .

وفي «كتاب الخيل» لإبن الأعرابي ص 92 : أن النعامة لخُزَر بن لوذان .

وفي «أنساب الخيل» لإبن الكلبي ص 106 : أن النعامة فرس قُرّاص الأزدي . وكذلك في «القاموس المحيط» (نعم) .

و«النعامة» للمنفجر العبري في «كتاب الخيل» لإبن الأعرابي ص 87 وهي كذلك أيضاً في «القاموس المحيط» (نعم) .

(30) لم يرد «ابن النعامة» في «المطبوعة»

32 ـ و«ناصح» لسُويد بن شدّاد العشمي ، وفيها كان يقول : بيتان . . .

قال أبو الندى : هذا الشعر للحارث بن مراغة الحَبَطي ، و«ناصح» له لا لسُويد بن شدّاد .

33 ـ و«النبيز» فرس طارق بن ضمرة . . . . وجاء في خبر تراهَنَ فيه خديج بن قيس . . . وطارق بن ضمرة وهما على فرسيهما «المحنّحة» و«النبيز». . وقال في ذلك ضمرة أخو طارق بن ضمرة : ثلاثة أبيات . . .

34 ـ و«نحلة» لسبيع بن الخطيم التيمي ، قال فيها : بيتان . .

35 ـ و«اليَحموم»[31] فرس النعمان بن المنذر ، قال الأعشي :

ويأمر «لليحموم» كل عشيّةٍ بقَتٍ وتعليق فقد كان يسنقُ

وله أيضاً على ما ثبت في ديوانه :

وإليك أعملتُ المطية من سهل العراق وأنت بالقفز

ثمانية أبيات . . . وفارس اليحموم هو النعمان بن المنذر ملك الحيرة . . .

تعليق :

وقد مضى الألوسي في شرح الأبيات ، ويبدو أنه استقرى الديوان وعقد هذا القدر من الكلام . وليس في كتاب الغندجاني إلا البيت (قافيته القاف)

36 ـ و«الهراوة» للريان بن حويص العبدي ، وكانت لا تدرك وتسمّى «هراوة الأعزاب» لأنه تصدّق بها على أعزاب قومه ، فكان العزب منهم يغزو عليها فإذا استفاد مالاً وأهلاً دفعها إلى آخر من قومه ، فكانوا يتداولونها كذلك ، فضُربت مثلاً ، قال لبيد :

لا تسقني بيديك إن لم ألتمس نعم «الضجوع» بغارة أسراب

نهدي أوائلهن كلّ طِمِرَّةٍ جرّاء مثل «هِراوة الأعُزاب»

قال أبو محمد الأعرابي : سألت أبا الندى عن الضجوع فقال : هو قتادة بن عوف . . . قال عمرو المحاربي من عبد القيس : أربعة أبيات . . . . .[32]

ذُكر أبو محمد بن دريد : أن الهرواة تسمي آوة بعضهم يسميها الهراوة .

أقول : هذا الذي ذكره ابن دريد لم أجده في مصنفاته المطبوعة .

---

(31) زاد الغندجاني في «اليحموم» فأثبت أنه أيضاً فرس الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ و«اليحموم» لهشام بن عبد الملك ، من نسل «الحرون» .

و«اليحموم» فرس حسان الطائي من بني جبه ، ويُسمى «فارس اليحموم» قال المسيب بن علس ؛ البيت . انظر أسماء خيل العرب وأنسابها ص 270ـ 271 .

(32) ذكر هذا كله الغندجاني في كتابه وأفاده الألوسي من هذا الكتاب وزاد عليه ما أخذه عن ابن دريد

طرف من أخبار مشاهير
فرسان العرب(33)

قال السيد الألوسي :

أعلم أن العرب في الجاهلية لم يزالوا في كرٍّ وفرّ وغارات ومحاربات . ارخصوا نفسهم في طلب العز ، وإشادة المجد ، وهانت عليهم الحياة دون وصمة تلحقهم ، ومذلة تشينهم ، حتى أصبحوا كلهم فرساناً كماة ، بل ليوث غابات ، وكان قائلهم يقول (وهو النابغة الجعدي) :

وأنا لقوم ما نعوِّد خيلنا إذا ما التقينا أن نحيد وتنفرا

سبعة أبيات . . .

تعليق :

رأى الألوسي ، وكان مصيباً أن الكلام يفتقر إلى تمامه ، وهو أن يأتي على طرف من أخبار فرسان العرب فعمد إلى جميع ما رآه مناسباً من أخبارهم من كتب الأدب والتاريخ فكان ذلك طائفة ممن اشتهروا بالفروسية وهم :

1 ـ ربيعة بن مكدّم

من بني فراس بن غنم بن مالك . . . . وكان يُعقرَ على قبره في الجاهلية ، ولم يُعْقرَ على قبر أحد غيره . ومرّ على قبره حسان بن ثابت فقال :

نَفرت قلوصي من حجارة حَرَّةٍ بُنيَت على طلق اليَدين وهوبِ
لا تنفري يا ناقُ منه فإنه شِرّيبُ خمرٍ مسعَرُ لحروب
لولا السفارُ وطولُ قفرٍ مَهْمةٍ لتركتُها تحبُو على عرقوب(34)

. . . .
. . . .

2 ـ عنترة العبسي بن شدّاد :

قال الكلبي : شداد جدّه غلب على اسم أبيه . . . .
. . . .

---

(33) بلوغ الأرب ص 124ـ 161 .

(34) قال الأستاذ الأثري في تعليق (ص 125) :

نسب هذا الشعر في «ديوان مختارات أشعار القبائل» إلى حفص بن الأخيف الكنائي ، وقال محمد بن سلام : الصحيح أن هذه الأبيات لعمرو بن شقيق أحد بني فهر بن مالك ، ومن الناس من يرويها لكرز بن حفص بن الأحيف العامري ، وعمرو بن شقيق أولى بها ، والأبيات في قتل ربيعة بن مكدّم الكناني أحد فرسان بني مضر المعدودين وشجعانهم المشهورين ، قتله نُبيَشة بن حبيب السلمي في يوم الكديد . . . .

وهو أحد أغربة العرب . . .

قال أبو عبيدة : أن عنترة بعدما أوت عبس إلى غطفان بعد يوم جبلة ، وحمل الدماء اختاج ، وكان صاحب غارات ، فكبر وعجز عنها ، وكان له يد على رجل من غطفان فخرج يتحازاه في الطريق . ونقل عن أبي عبيدة أيضاً : أن طيّئاً تدعي قتل عنترة ويزعمون أن الذي قتله «الأسد الرهيص» وهو القائل :

أنا الأسد الرهيص قتلت عمراً وعنترة الفوارس قد قتلتُ[35]

3 ـ مُلاعب الأسنّة :

وهو عامر بن مالك وسمي «ملاعب الأسّنة» يقول أوس بن حجر :

ولاعَب أطراف. الأسنة عامر فراح له حظّ الكتيبة أجمعُ

قال ابن قتيبة :[36] وملاعب الأسنة عم لبيد . . .

4 ـ زيد الخيل :

هو كما قال صاحب «الإستيعاب»[37] زيد بن مهلهل . . . الطائي قدم على رسول اللّه ـ ﷺ ـ في وفد طيء سنة تسع فأسلم ، وسماه رسول اللّه ﷺ زيد الخير . . .

5 ـ عامر بن الطفيل :

واسم جدّه مالك بن كلاب العامري وهو ابن عم لبيد . وكنيته في الحرب أبو عقيل ، وفي السلم أبو علي . . . . قال ابن الأنباري في «**شرح المفضليات**» : كان عامر من أشهر فرسان العرب بأسا ونجدة . . . .
(38) . . . .

6 ـ عمرو بن معدي كرب :

قال ابن جني : فسره ثعلب أنه عداه الكرب[39] .

وقال صاحب «الإستيعاب» : وفد على النبي ﷺ في سنة تسع ، وقال الواقدي في سنة عشر في وفد زبيد فأسلم . . .[40] .

قال النووي في «تهذيب الأسماء واللغات»[41] : ارتد مع الأسود العنسي فسار إليه

---

(35) هذا من أيام العرب لأبي عبيدة ، ولما كان الكتاب لم يصل فالإفادة منه من كتب عدة عرضت لأيام العرب ، وكلها أخذت منه .

(36) الشعر والشعراء (تحقيق أحمد شاكر) 277/2

(37) لإبن عبد البر الأندلسي وهو «الإستيعاب في معرفة الأصحاب» .

(38) انظر المفضليات (دار المعارف 1964) ص 360 .

(39) المبهج في شرح أسماء شعراء الحماسة .

(40) الإستيعاب في معرفة الأصحاب لإبن عبد البرّ

(41) تهذيب الأسماء واللغات للنووي .

خالد بن سعيد فقاتله . . . ومات سنة إحدى وعشرين من الهجرة . . . قيل : مات عطشاً يوم القادسية ، وقيل : قتل فيه ، وقيل : بل قتل في وقعة نهاوند بعد الفتح ، ولم يذكره السجستاني في «المعمرين»[42] . . . .

. . . .

وعمرو بن معدي كرب هو القائل :

ولما رأيتُ الخيلُ زُوراً كأنها جداولُ زرعٍ أرسلت فاسبطرَّتِ

سبعة أبيات . . . .

قال السيد الألوسي :

وقصة هذه الأبيات هو ما حكاه المفضل الطبرسي في «شرح الحماسة»[43] أن جَرماً ونهداً وهما قبيلتان من قضاعة كانتا من بني الحارث بن كعب فقتلت جرم رجلاً من أشراف بني الحارث فارتحلت عنهم . . .

. . . .

قال أبو عبيدة قال عبد الملك بن مروان : وجدت فرسان العرب ستة نفر ، ثلاثة منهم جزعوا من الموت عند اللقاء وثلاثة لم يجزعوا ، قال عمرو :

فجاشت إلي النفس . . . . البيت . .

7 ـ دريد بن الصمة :

روى أبو بكر بن دريد عن أبي عبيدة قال : خرج دريد بن الصمّة في فوارس من بني جُشم . . . .

والخبر طويل[44]

8 ـ زيد الفوارس :

وهو ابن حصين بن ضرار الضبي ، جاهلي ذكره الآمدي في «المؤتلف والمختلف» ص 131 .

9 ـ أمية بن حرثان الكناني :

وينتهي نسبه إلى مضر ، وكان من سادات قومه وفرسانهم ، وله أيام مأثورة مذكورة ، وابنه كلاب ، أدرك النبي ـ ﷺ ـ فأسلم مع أبيه . . .

روى صاحب «الأغاني» بسنده إلى الزهري عن عروة بن الزبير قال : هاجر

---

(42) كتاب «المعمرين» لأبي حاتم (طبع مرتين) .

(43) شرح الحماسة للمرزوقي ص 157ـ 162 .

(44) الشعر والشعراء (دار إحياء العلوم بيروت) ص 506ـ 508 .

كلاب بن أميه إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي اللّه عنه ـ فأقام بها مدة . ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبد اللّه والزبير بن العوام فسألها : أيّ الأعمال أفضل في الإسلام ؟ فقالا الجهاد ، فسأل عمر فأغزاه في جيش ، وكان أبوه قد كبر وضعف فلما طالت غيبة كلاب عنه قال :

لمن شيخان قد نشدا كلابا كتاب اللّه لو قبل الكتابا

سبعة أبيات إلى آخر الخبر(45)

10 ـ عمرو بن كلثوم :

. . . . قال أبو عبيد البكري في شرح نوادر القالي (46) :

عمرو بن كلثوم شاعر فارس . . . .

وقال ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» : عمرو بن كلثوم جاهلي قديم وهو قاتل عمرو بن هند الملك . . . . (47) .

11 ـ الشنفري الحارثي القحطاني :

كان من الفرسان المذكورين والشعراء المعلقين . . .

ومن حديثه ما ذكره أبو عمر والشيباني كما نقله ابن الأنباري في شرح المفضليات وحمزة الأصبهاني في «الدرة الفاخرة» قال : أغار تأبط شراً والشنفري وعمرو بن براق على بجيلة . . . . (48) .

وروي الأصبهاني في «الأغاني» «وابن الأنباري» في «شرح المفضليات» أن الشنفري أسرته بنو شبانة وهم حي من فهم بن عمرو . . . . وهو غلام صغير . . .(49)

12 ـ الحارث بن عُباد الربعي :

قال أبو رياش في «شرح الحماسة» : كان الحارث بن عُباد . . . من حكام ربيعة وفرسانها المعدودين . . . (50) .

13 ـ سعد بن مالك :

قال الآمدي في «المؤتلف والمختلف : كان سعد هذا أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها في الجاهلية ، وكان شاعراً . . .(51)

---

(45) الأغاني 18/ 156

(46) لم أهتد إليه في المصدر المذكو .

(47) الشعر والشعراء (ط . دار إحياء العلوم بيروت) ص 141ـ 143 .

(48) شرح المفضليات لابن الأنباري (ط دار المعارف بمصر) .

(49) الأغاني 21/ 124ـ 143 (ط ليدن) .

(50) شرح الحماسة لأبي رياش طبعت بأخرة في بغداد (وزارة الثقافة) وهي غير كاملة .

(51) المؤتلف والمختلف ص 135 وهو سعد بن مالك بن ضبيعة . . . .

14 ـ مهلهل بن ربيعة التغلبي :

قال الآمدي اسمه امرؤ القيس بن ربيعة . . . .

وهو الشاعر المشهور ، ويقال اسمه عدي .[52]

وقال ابن قتيبة في كتاب الشعراء : مهلهل بن ربيعة ، سُمي مهلهلاً لأنه هلهل الشعر أي أرَقّه ، ويقال : أنه أول من قصد القصيد.[53]

. . . .

قال ابن سلام : زعمت العرب أنه كان يتكثّر ويدَّعي في قوله بأكثر من فعله . . . [54] .

وكان من خبرها (أي حرب البسوس) ما حكاه ابن عبد ربه في «العقد الفريد»[55] و«الأصبهاني في «الأغاني» وقد تداخل كل منهما في كلام الآخر . . . .

15 ـ مُعاذ بن صرم الخزاعي :

كان فارس خزاعة في وقته ، ومن خبره أن أمّه كانت من علّك . . . .

. . . .

16 ـ بشامة بن حزن النهشلي :

وهو من الفرسان ، والقائل :

إنّـا محيّـوكِ يـا سلمى فحيّينـا وإن سقيتِ كرامَ الناس فاسقينا[56]

ثلاثة عشر بيتاً .

قال الألوسي: في كتاب «مقاتل الفرسان» لأبي عبيدة الكثير من أخبار الفرسان[57]

الكلام على نيران العرب

في الجاهلية

أقول : والكلام على النيران لا يخرج عن رسومهم وممارساتهم التي هي بعض ما يدخل في السيرة الاجتماعية في بحثنا الحديث . قال الألوسي :

---

(52) المؤتلف والمختلف ص 11 .

(52) الشعر والشعراء ص 186ـ 187 .

(54) طبقات فحول الشعراء ص 39ـ 41 .

(55) العقد الفريد 276/3 (تحقيق العريان دار الفكر) .

(56) انظر شرح الحماسة للتبريزي أو المرزوقي .

(57) من كتب أبي عبيدة التي لم تصل إلينا .

قد أولع العرب بإيقاد النيران ينبهون بها على عوارض حدثت ، وحوادث عرضت وهي كثيرة .

ومصادر الألوسي في هذه النيران كتب الأدب القديم ، ولاسيما كتب الشعر ودوواين الشعراء .

لقد أشار إلى «نار القرى» وهي نار توقد لإستدلال الأضياف بها على المنزل ، وتسمى أيضاً «نار الضيافة» .

يوقدونها بالمندلي الرطب ، وهو عطر ينسب إلى مندل من بلاد الهند . . .

قال الأعشي :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة   إلى ضوء نارٍ في يفاعٍ تَحَرَّقُ

. . . .

و«نار المزدلفة» وهي التي توقد حتى يراها من دفع من عرفة . . . .

و«نار التحالف» توقد إذا عقدوا حلفاً . . .(58) وقد سموها «نار المهوّل» لأنهم يهدّدون بها المبطل للحلف . . .

و«نار الغدر» كانت توقد إذا غدر الرجل بجاره بِمنىً أيام الحج .

ومنها «نار السلامة» للقادم من سفر .

و«نار الطرد» يوقدونها خلف من يمضي لا يحبون رجوعه .

و«نار الأهبة» للحرب(59) و«نار الصيد» توقد لتعشي بها الظباء .

---

(58) قال ابن قتيبة في كتاب «المعاني الكبير» في نار التحالف : كانوا يحلفون بالنار ، وكانت لهم نار يقال إنها كانت بإشراف اليمن ، لها سدنة ، فإذا تفاقم الأمر بين القوم فحلف بها انقطع بينهم ، وكان اسمها «هولة» و«المهولة» ، وكان سادنها إذا أتى برجل هيبه من الحلف بها ، ولها قيّم يطرح فيها الملح والكبريت ، فإذا وقع فيها استشاطت وتنفضت فيقول : «هذه النار قد تهددتك» فإن كان مريباً نكل ، وإن كان بريئاً حلف ، قال الكميت :

هُمُ خوّفونا بالعمى هوة الردى   كما شبَّ نارَ الحالفين المهّول

[illegible] امرأة .

و«نار الأسد» توقد إذا خافوا الأسد .

و«نار السليم» للملدوغ إذا سهر ، وللمجروح إذا نزف وللمضروب بالسياط ، ولمن عضه الكلب الكلِب .

و«نار الفداء» وذلك أن الملوك إذا سبوا القبيلة خرجت إليهم السادة للفداء فكرهوا أن يعرضوا النساء نهاراً فيفتضحن ، وفي الظلمة يخفي قدر ما يحسبون لأنفسهم من الصفيّ فيوقدون النار ليعرضن .

و«نار الوسم» كانوا يقولون للرجل : ما نارك؟ على الاستخبار عن الإبل ، أي ما سمتُك وما علامتك في إبلك فيبينها لهم . . . . . .

و«نار الإستمطار» كانت العرب في الجاهلية الأولى إذا احتبس عنهم المطر يجمعون ويعقدون في أذنابها وعراقيبها السلع والعُشَر ويصعدون بها في الجبل الوعر ويشعلون فيها النار ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر . . .

و«نار الحرَّتين» كانت في بلاد عبس ، فإذا كان الليل فهي نار تسطع ، وفي النهار دخان يرتفع ، وربما بدر منها عنق فأحرَق من مرّ بها ، فحفر لها خالد بن سنان فدفنها فكانت معجزة له . كذا في «الأوائل» لإسماعيل الموصلي[60]

وروي الكلبي : إنه كان يخرج منها عنق مسيرة ثلاثة أيام . . .

و«نار السعالي» شيؤ يقع للمتقفرّ والمتغرّب ، قال أبو المضراب عبيد بن أيوب : بيتان . . . .

و«نار الحُباحب» كل نار لا أصل لها مثل ما يقتدح من نعال الدوابّ وغيرها[61] .

---

(60) لم يصل إلينا هذا الكتاب .

(61) وأول من أورى «نار الحُباحب» هو أبو حباحب بن كلب بن وبرة بن تعلب . . . . وقالوا «نار أبي حباحب» وذكر ابن الكلبي من حديثه قال : كان أبو حباحب رجلاً من العرب في سالف الدهر بخيلاً لا توقد له نار بليل مخافة أن يقتبس منها فإن أوقدها ثم أبصرها مستضيء أطفأها فصربت العرب به المثل في البخل والخلف فقالوا : «أخلف من نار أبي حُباحب» .

وقال ابن الشجري في «الأمالي» حباحب رجل كان لا ينتفع بماله لبخله فنسب إليه كل نار لا ينتفع بها فقيل لما تقدحه حوافر الخيل على الصفا «نار الحباحب» قال النابغة في وصف السيوف : «ويوقدن بالصُفّاح نارَ الحباحب» .

وجعل الكميت اسمه كنية للضرورة في قوله :

يرى الراؤون بالشفرات منها   كنار أبي حُباحب والظبينا

قال القطامي :

ألا إنما نيران قيس إذا شتَوا   لطارق ليل مثل نار الحباحب

هذا هو وجه الأمر وليس ما ذكره الموصلي في «الأوائل» مفيداً ذلك من العسكري صاحب «الأوائل» وهو كتاب مطبوع .

و«نار اليراعة» طائر صغير إذا طار بالليل حسبته شهاباً ، وضرب من الفراش إذا طار بالليل حسبته شراراً .

و«نار الحلفى» يضرب بها المثل في سرعة الإيقاد والإنطفاء .

و«نار العرفج» وتسمى «نار الزحف» وذلك لأن العرفج إذا إلتهبت فيه النار أسرعت وعظمت ، فمن كان بقربها يزحف عنها ثم لا يلبث أن تنطفىء من ساعتها فيحتاج الذي زحف عنها إلى أن يرجع إليها من ساعته ، فلا يزال المصطلي بها كذلك . ويضرب بها المثل فيمن لا يستقر على حال «ومن الإستعادات» في النار «نار الشرف» و«نار المسرة» و«نار الحرب» ، وقد أولع الشعراء بوصفها . . .

صفة اقتداح العرب بالزند والزندة

أقول : هذا ما لا بد منه بعد ذكر «النيران» كأ السيد الألوسي حين تكلم على النيران ، وهي من الرسوم الجاهلية التي لا تخلو من لون أسطوري أراد أن يبسط نثياً من توجههم نحو الحاجات الحضارية فذكر هذه النبذة فقال :

ذكر أبو حنيفة الدينوري في «كتاب النبات» صفة الزند والزندة ، وكيفية الفتل فلا بأس بإيراده هنا :

قال : أفضل ما اتخذت منه الزناد شجرتا المرخ والعَفار (بفتح العين) فتكون الأنثى وهي الزندة السفلى مرخاً ، ويكون الذكر وهو الزند الأعلى عفاراً . أخبرني بعض علماء الأعراب : أن العفار شجر يشبه شجر الغبيراء ، منظره من بعيد كمنظره . وأما المرخ فقد رأيته ينبت قضباناً سمحة طوالاً لا ورق لها . وبفضل هاتين الشجرتين في سرعة الوَرى وكثرة النار سار قول العرب فيهما فقالوا : «في كل الشجر نار ، واستمجد المرخ والعفار»



مِفضى الحزّ رِيةً تأخذ فيها النار ، فإذا فتل الزند لم يلبث الدخان أن يظهر ثم يتبعه النار فتنحدر في الحزّ وتأخذ في الرية ، وتلك النار هي السِقط .

قال الألوسي : انتهى كلامه باختصار كثير من «لب اللباب» والله الموفق .

أقول : وهذا يعني أنه أفاد من «كتاب النبات»(62) لأبي حنيفة عن طريق كتاب «لب اللباب» الذي لا نعرفه ولم يصل إلينا .

جولة في التاريخ : الكلام على ملوك العرب في الجاهلية(63) .

بدأ الكلام بـ«ملوك اليمن» فقال :

قال ابن قتيبة وغيره : أول من حُيي بتحية الملك «أبيت اللعن وأنعم صباحاً» يعرب بن قحطان فولد له يشجب ، وولد ليشجب سبأ .

ويمضي في هذا النمط التاريخي القديم الذي تختلط فيه الحكايات والقصص بالعلم التاريخي .

ثم يتحول إلى «ملوك الشام من العرب الجاهلية» فقال :

كان بالشام سليح ، وهم من غسان ويقال من قضاعة ، وأول ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك ، ثم من بعده ابنه مالك . . .

ويمضي في هذا اللون من القصص الذي تناقله الناس ولا تعرف له أصول واضحة فيتحول إلى «ملوك الحيرة» فيورد شيئاً من كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني . وهو بعد أن يمضي قليلاً في ذكر هؤلاء يبدأ بـ «قصة عمرو بن عدي اللخمي أول ملوك الحيرة من لخم مع خبر عدي» . . .

ثم تأتي «قصة قصير مع الزباء وخبر قتل جذيمة» .

تعليق :

أقول : وكأن السيد الألوسي أراد أن يذكر ما ورد في المصادر من هذا القصص القديم دون أن يتخذ من نفسه حكماً تاريخياً فيثيب رأيه في هذا اللون من الأدب التاريخي .

ثم تحول إلى «ألقاب الملوك الدائرة بين العرب» معتمداً على ما جاء في «مروج الذهب للمسعودي» في تفسير قيصر وكسرى والنجاشي والمقوقس وفرعون وبطليموس .

---

(62) لقد خلا الجزء المطبوع من كتاب «النبات» (القاهرة 1972) من هذا .

(63) بلوغ الأرب ص 169ـ 187 .

ثم أفاد من «البداية والنهاية» لإبن كثير الدمشقي . وهو يتوفر لمادته فلا يفوته أن ينظر في المعجمات كالصحاح والقاموس وقد يقتضيه الأمر أن يبحث في «شروط السؤدد عند العرب»[64] فيفيد من كتاب أسماه «شرائع المروءة» للجاحظ .

أقول : لعله إحدى رسائله الكثيرة التي لم يصل إلينا خبرها قال الجاحظ : كانت العرب تسود على أشياء ، أما مضر فتسود ذا رأيها (كذا) ، وأما ربيعة فمن أطعم الطعام ، وأما اليمن فعلى النسب .

وكان أهل الجاهلية لا يسوّدون إلاّ من تكاملت فيه ستّ خصال : السخاء والنجدة والصبر والحلم والتواضع والبيان ، وصار في «الإسلام» سبعاً .

وقيل لقيس بن عاصم : بمَ سُدْتَ قومك؟ فقال . . . وهكذا يمضي الجاحظ في إيراد جملة من الأخبار في هذا الباب .

أقول : والكلام على«السؤدد» اقتضى المؤلف أن يتكلم على «بيوتات العرب»[65] وتوفر لهذا بما ذكره أهل العلم فقال : قال ابن الكلبي : كان أبي يقول : «العدد من تميم في بني سعد ، والبيت في بني دارم ، والفرسان في يربوع . . .

وقال أبو عبيدة : ليس في العرب أربعة أخوة انجب ولا أعدّ ولا أكثر فرساناً من بني ثعلبة بن عكابة . . .

وقال : بيوتات العرب ثلاثة فبيت قيس في الجاهلية بنو فزارة ، ومركزه بنو بدر ، وبيت ربيعة بنو شيبان ومركزه ذو الجدين ، وبيت تميم بنو عبد اللّه بن دارم ، ومركزه بنو زرارة .

وقال أبو عمرو بن العلاء : بيت بني سعد اليوم آل الزبرقان بن بدر . . .

ولا نعدم أن نجد فيه كلاماً قاله الأخفش ، وشيئاً آخر مما ذكره ابن رشيق في «العمدة» .

وتكلم على «أول من سنّ الجوائز من ملوك العرب»[66] وأشار إلى ما ذكره أبو جعفر النحاس في معنى «الجائزة» ثم ذكر ابن قتيبة وما قاله في أوليّة الجوائز .

وأوجز في خمسة أسطر شيئاً عن «دراهم العرب في الجاهلية[67] فقال :

---

(64) بلوغ الأرب ص 187ـ 188 .

(65) المصدر السابق ص 189ـ 191 .

(66) المصدر السابق ص 191 .

(67) المصدر السابق ص 192 .

على نوعين مختلفين : «بغلية وطبرية» ، نوع عليه نقش فارس ، والآخر نقش الروم ، فالبغلية نسبة إلى ملك يقال له «رأس البغل» وهي السود ، كل درهم منها ثمانية دوانيق . و«الطبرية» نسبة إلى طبرية الشام ووزن كل درهم منها أربعة دوانيق .

ثم قال :

تفصيل ذكر هذا ما أورده الإمام الماوردي في «الأحكام السلطانية» وكذا غيره من العلماء الأعلام .

ثم ختم هذا الباب بـ«تحية ملوك العرب في الجاهلية وقد تكلم فيه على قولهم «أنعم صباحاً وأتى فيه على الأصول اللغوية فاهتدى بشيء مما ورد في «شرح شواهد أدب الكاتب» .

أقول من غير شك أنه أراد «كتاب الإقتضاب» .

كما أتى بآراء اللغويين يونس وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي والفرّاء وغيرهم .

باب «في أديان العرب قبل الإسلام»[1]

قدم السيد الألوسي إلى هذا بمقدمة أفادها من «كتاب المعارف» لإبن قتيبة وإن لم يذكر هذا غير أن النظر في «كتاب المعارف» يدل على هذا .

هذه المقدمة عرضت إلى أن العرب من عدنان وقحطان كانوا قبل ظهور عمرو بن لحي الخزاعي فيهم على بصيرة من أمرهم يتعبدون بشريعة خليل الرحمن سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقد تلقوها من ولده نبي اللّٰه إسماعيل ـ عليه السلام ـ وهي الحنيفية التي جاء بها محمد ﷺ ـ .

وهي الإعتقاد بأن اللّٰه واحد لا شريك له ولا وزير ولا معين ، موصوف بالكمال والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام وغيرها من الصفات . . . .

. . . .

وتحول بعد هذه «المقدمة» إلى الكلام على «الموحدون من العرب» ص 196 وهم من استبصر ببصيرته فاعترف بوجود اللّٰه وتوحيده ، ولم يدرك الإسلام بل بقي على فطرته ونظر بعين بصيرته فلم يغيّر ولم يبّدل ، وهم البقايا ممن كان على عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ملتزمين ما كانوا عليه من تعظيم البيت والطواف والحج والعمرة وغير ذلك . . . .

. . . .

عبادة الأصنام

وهم الذين أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة ، وأنكروا الرسل ، وعبدوا الأصنام وحجّوا إليها ونحروا لها الهدايا ، وقرّبوا القرابين ، وتقرّبوا إليها بالمناسك والمشاعر وأحلّوا وحرموا . . . .

. . . .

ومضى السيد الألوسي في تعريفهم مستدلاً بما ورد في ذلك في القرآن الكريم ، مستعيناً بما جاء في أخبار الكفار عبّاد الأصنام ، وما ورد في أدبهم . وكانوا يعتقدون فيها

---

(1) المصدر السابق ص 194ـ 300 .

يعتقدون أن الأصنام تقربهم من اللّه ، وحكي ذلك القرآن في قوله تعالى : ﴿**ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى اللّه زلفى**﴾ .

ولا بد في هذا من الرجوع إلى «كتاب الأصنام» لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي والإعتماد عليه .

وذكر من الأصنام : أساف وسواع ويغوث ويعوق ونسر وودّ كما ورد في قوله تعالى : ﴿**ولا تذرنّ ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً**﴾ . واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وهبل وغيرها كثير . . . .

. . . .

أقول : وكأن هذا الجزء مما يتصل بالأصنام تلخيص لما ورد في «كتاب الأصنام» (ص 197 ـ 212) .

ورجع إلى «كتاب إغاثة اللهفان» لإبن القيّم لبيان «الأسباب الأخرى لعبادة الأصنام» ، وابن القيم في هذا يفيد من كتاب ابن الكلبي .

ثم تحول إلى ألوان من عبادة الأصنام فذكر أن من عُبّاد الأصنام طائفة عبدت الشمس وقال :

«وزعموا أنها (أي الشمس) ملك من الملائكة لها نفس وعقل ، وهي أصل نور الكواكب ، وتكون الموجودات السفلية كلها عندهم منها . وهي عند ملك الفلك فتستحق التعظيم والسجود والدعاء ، ومن شريعتهم في عبادتها أنهم اتخذوا لها صنماً بيده جوهر على لون النار ، وله بيت خاص بنوه باسمه ، وجعلوا له الوقوف الكثير من القرى والضياع ، وله سدنة وقوّام وحجبة يأتون البيت ويصلّون ثلاث كرات في اليوم . ويأتيه أصحاب العاهات فيصومون لذلك الصنم ويصلون ويدعونه ويستشفون . . . .

. . . . (ص 215ـ 216)

وإذا كانت عبادة للشمس فلا بد أن تكون عبادة للقمر (ص 216ـ 220) قال :

زعموا أنه يستحق التعظيم والعبادة وإليه تدبير هذا العالم السفلي . أشار السيد الألوسي إلى كتاب «السر المكتوم في مخاطبة النجوم» المنسوب إلى ابن خطيب الري . وقد ذكر في الكتاب الشيء الكثير عن عبادة النجوم .

أقول : وهذا مخطوط لا نعرف من أمره شيئاً .

وقال أيضاً في «أسباب عبادة الأصنام» أيضاً :

أن الشياطين تدخل فيها وتخاطبهم منها . . . .

وعاد المؤلف إلى كتاب ابن القيّم الذي أشرنا إليه آنفاً .

ثم قال : «وصنف من العرب دهريون» وهؤلاء قوم عطّلوا المصنوعات عن صانعها وقالوا ما حكاه اللّه تعالى عنهم في قوله : ﴿**ما هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاّ الدهر**﴾ .

وقد أشار السيد **الألوسي** إلى كتاب «الملل والنحل» لشهرستاني ، كما أشار إلى كتاب «مفتاح دار السعادة» رداً لقول من يقول بالطبيعة ، ولكنه لم يُسمّ المؤلف .

وقال :

«وللآمدي كلام لطيف مع القائلين بالطبيعة في كتابه «أبكار الأفكار» فارجع إليه .

ولولا أن هذا الداء قد سرى في أكثر أقطار الأرض لما تعرضنا لرده ، فإن ذلك ليس من موضوع الكتاب . ومن قال بالدهر أثبت له صفات الكمال كالعلم والقدرة وغير ذلك ، قال قائلهم ؛

مَنع البقاء تقلّبَ الشمس ... وطلوعها من حيث لا تُمسي
وطلوعها حمراءَ صافيةٍ ... وغروبها صفراءَ كالورس
تجري على كبد السماء كما ... يجري حمام الموت في النفس
اليوم أعلم ما يجيء به ... ومضى بفضل قضائه أمسِ

أقول : ليس لي أن أقطع أن هذا من كتاب الآمدي أم من كلام السيد الألوسي ؟

ثم قال : وبمقتضى ما تقرر أنه لا فرق بين القائلين بالدهر والطبيعيين، وبعضهم يفرق ففي «شرح المقاصد» للسعد التفتازاني في تفصيل فرق الكفار قد ظهر الكافر اسم لمن لا إيمان له ، فإن أظهر الإيمان خص بإسم المنافق ، وإن طرأ كفر بعد الإسلام خص بإسم المرتد ، فإن قال بإلهين .... خص بإسم المشرك ، وإن كان ذا دين له كتاب قد نسخ خص بالكتابي ......

وإن كان يقول بقدم الدهر خص بالدهري ، وإن كان لا يثبت الباري سبحانه خص بإسم «المعطل» ، وإن كان مع اعترافه بنبوة محمد ـ ﷺ ـ وإظهار عقائد الإسلام ويبطن عقائد هي كفر باتفاق خص باسم الزنديق

.... (ص 220ـ 223)

ثم أفرد كلاماً طويلاً للصابئة وأشار إلى أن فيهم صابئة مشركين يعظمون الكواكب السبعة ....

وصابئة حنفاء ...... وعلى هذا المذهب كان جماعة من أعيان الدولة ببغداد منهم

هلال بن المحسن الصابي صاحب ديوان الإنشاء ، وصاحب الرسائل المشهور . . . .
وهؤلاء شاركوا أهل الإسلام في الحنيفية .

وأشار إلى أن فيهم فلاسفة . . . .
. . . . (ص228 ، 223)

وتكلم على «الزنادقة» فأشار إلى ما ورد عنهم في كتاب «المعارف» لإبن قتيبة عند كلامه على أديان العرب في الجاهلية وأشار إلى أن قريش أخذت الزندقة من الحيرة .

كما ذكر رسالة ابن كمال باشا من أهل العلم الأتراك في «معنى زنديق» .

وأشار إلى معتقدات الثنوية القائلين أن الصانع إثنان ، ففاعل الخير نور ، وفاعل الشر ظلمة . . . . (ص 229 ـ 213)

وأشار إلى عبادة الملائكة والجن والنار . . . .

وفي هذا كله إفادة من كتاب «آكام المرجان في أحكام الجان» وكتاب «المعارف» لابن قتيبة ، وكتاب «أعلام النبوة» للماوردي وفيه أن حاجبْ بن زرارة قد تزوج بنته وأولدها وقد كان سماها دختنوس بإسم بنت كسرى ، وله في ذلك رجز كنا قد أشرنا إليه ، وأشار إلى ذلك أبو الفرج في «الأغاني» (10 / 38) .

وأشار إلى أن حاجب بن زرارة والأقرع بن حابس ، وأبو الأسود جدّ وكيع بن حسان كانوا على المجوسية ، وذكر هذا كله ابن قتيبة في «المعارف» . . . .

وأشار إلى أن عرب حمير عبدوا الشمس قبل أن يتهوّدوا ، ومنهم قوم بلقيس صاحبة القصة مع سليمان ـ عليه السلام ـ والإشارة إلى ذلك معروفة في القرآن الكريم . . . .

ثم خلص إلى اليهود والنصارى (ص 240ـ 244) ثم أشار إلى من نجا من الكفر من الجاهلين فكان منهم :

قس بن ساعدة الأيادي ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وأمية بن أبي الصلت ، وأرباب بن رئاب ، وسويد بن عامر المصطلقي ، وأسعد أبو كرب الحميري ، ووكيع بن سلمة . الأيادي ، وعمير بن جندب ، وعدي بن زيد ، وأبو قيس صرمة بن أبي أنس ، وسيف بن ذي يزن وورقة بن نوفل ، وعامر بن الظرب العدواني ، وعبد الطابخة بن ثعلب ، وعلاف بن شهاب التميمي ، والمتلمس بن أمية الكناني ، وزهير بن أبي سلمة ، وخالد بن سنان بن غيث العبسي ، وعبد الله القضاعي ، وعبيد ين الأبرص ، وكعب بن لؤي بن غالب .

ثم ختم هذا الباب الكبير في الأديان بـ :

«بيان ما كان عليه العرب من العبادات والأعمال في الجاهلية» جاء فيه على ما عرف فيهم من عبادات جاء بها الإسلام كقطع يد السارق وأداء الحج على رسومهم . وتحريم الخمر والخنزير وغير ذلك (ص 286 - 301)

ثم أشار إلى ما أبطله الإسلام من أعمالهم في الجاهلية ، وهي عادات ورسوم تتصل بأيام الجدب وطلب المطر ، وما كان من ضربهم للثور ليقتحم الماء فتقتحم البقر ، وكانوا يقولون : إن الجنّ تصد البقر عن الماء ، وإن الشيطان يركب قرني الثور ، وفي ذلك شعر كثير . ومن رسومهم تعليق الحلي والجلاجل على اللديغ ، ورسوم كثيرة أخرى أبطلها الإسلام .

تعليق :

أقول : كان من المناسب لو أن هذه الرسوم وهي كثيرة ضمها السيد الألوسي إلى نظائرها في الجزء الأول ، وكان قد عرض لشيء منها هناك ، ذلك أنها تدخل في «السيرة الاجتماعية» للعرب .

ومن المفيد أن نحصي هذه المواد لفائدتها ، وكأنه وضعها هنا ليقول أن الإسلام قد أبطلها ، فهي من هنا لصيقة بـ «باب الكلام على الأديان والعبادات» .

ودونك هذه الفوائد : [2]

1 ـ تعليق الحلي والجلاجل على اللديغ :

يرون أنه يفيق بذلك ، ويقال : إنه إنما يعلّق عليه لأنهم يرون إن نام يسري السم فيه فيهلك فشغلوه بالحلّي والجلاجل وأصواتها عن النوم . وهذا هو قول النضر بن شميل .

وبعضهم يقول : إنه إذا علق عليه حلي الذهب برأ ، وإن علق الرصاص أو حلي الرصاص مات . وقيل لبعض الأعراب : أتريدون سهره ؟ فقال : أن الحلّي لا تسهر ، ولكنها سنّة ورثناها . وقال النابغة :

فبتُّ كأنّي ساورتني ضئيلة ... من الرُّقْش في أنيابها السُّمّ نافعُ
يُسهَّد من ليل التمام سليمها ... بحلي النساء في يَديهِ قعاقع
....

2 ـ ضرب الثور ليقتحم الماء فتتبعه البقر :

قالوا : إن الجن تصدّ البقر عن الماء ، وإن الشيطان يركب قرني الثور ، قال الشاعر :

---

(2) بلوغ الأرب ص 304ـ 369

إني وقتلي سُلَيكاً حين أعقله   كالثور يضرب لما عافت البَقَرُ

وقد علق السيد الألوسي فقال :

فإن كان ليس إلاّ هذا ، فليس ذلك بعجيب من البقر ولا بمذهب من مذاهب العرب لأنه قد يجوز أن تمتنع البقر من الورود حتى يرد الثور ، كما تمتنع الغنم من سلوك الطرق أو دخول الدور والأخبية حتى يتقدمها الكبش أو التيس ، وكالنحل تتبع اليعسوب ، والكراكي تتبع أميرها .

ولكن الذي يدل عليه أشعارهم أن الثور يرد ويشرب ولا يمتنع ولكن البقر تمتنع وتعاف الماء ، وقد رأت أن الثور يشرب فحينئذٍ يضرب الثور مع إجابته إلى الورد ، فتشرب البقر عند ضربه ، وهذا هو العجب ، قال الشاعر :

فإني إذاً كالثور يضرب جنبه   إذا لم يَعَف شرباً وعافت صواحبه

....

3 ـ ومثل هذا مذهبهم في العُرّ يصيب الإبل فيكوي الصحيح يبرأ السقيم :

قال النابغة :

وكلّفتني ذنب امرىء وتركته   كذي العُرِّ يُكوَى غير وهو راتع

....

4 ـ مذهبهم في البليّة :

وهي ناقة تعقل عند القبر حتى تموت فمذهب مشهور . و«البلية» إنهم إذا مات منهم كريم بلوا ناقته أو بعيره فعكسوا عنقها وأداروا رأسها إلى مؤخّرها وتركوها في حفيرة لا تُطعم ولا تُسقى حتى تموت . وربما أحرقت بعد موتها ، وربّما سلخت وملىء جلدها ثُماماً . وكانوا يزعمون أن من مات ولم يُبْل عليه حُشر ماشياً ، ومن كانت له بلية حُشر راكباً على بليّته ، قال جريبة بن الأشيم الفقعسي ؛

يا سعدُ إمّا أهلكنَّ فإنني   أوصيك أن أخا الوصاة الأقربُ

لا أعرفنَّ أباك يُحشرَ خلفكم   تعباً يجز على اليدَين وينكَبُ

وأحملُ أباكَ على بعيرٍ صالحٍ   وتقي الخطيئة أنه هو أقرب

ولعلّ لي مما جمعتَ مطيةً   في الحشر أركبُها إذا قيل : اركبوا

....

5 ـ ومن مذاهب العرب العقر على القبور :

قال زياد الأعجم يرثي المغيرة بن المهلب ؛

قل للقوافل والغزاة إذا غزوا   والباكرين وللمُجدّ الرائحِ

إن الشجاعة والسماحة ضُمِّنا   قبراً (بمرو) على الطريق الواضحِ

فإذا مررتَ بقبره فاعِقْر به كومَ الجلادِ وكل طِرفٍ سابح
وانطح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخادم ٍ وذبائح (3)

. . . .

. . . .

6 ـ ومن مذاهبهم أيضاً :

ما حكاه ابن الأعرابي قال : كانت العرب إذا نفرت الناقة فسُمّيت لها أمُّها سكنت من النفار ، قال الراجز :

أقول والوَجْناء بي تَقَحَّمُ ويلكَ قل ما اسم أمّها «علَّكُمُ»

«علّكم» اسم عبده ، وإنما سأل عبده ترفّعاً أن يعرف اسم أمها لأن العبيد بالإبل أعرف ، وهم رعاتها ، وأنشد السكّري :

فقلت له ما اسمُ أمِّها هاتِ فادعُها تحيْكَ ويسكُنْ روعُها ونفارُها

7 ـ ومما كانت العرب كالمجتمعة عليه الهامة :

وذلك أنهم كانوا يقولون : ليس من ميت يموت ولا قتيل يقتل إلا يخرج من رأسه «هامة» فإنْ كان قتل ولم يؤخذ ثأره نادت «الهامة» على قبره : اسقوني فإني هدية!

وعن هذا قال النبي ﷺ : لا هامة .

وفي «مروج الذهب» للمسعودي مثل هذا مع تفصيل .

ثم أورد الألوسي «نماذج من الشعر تشير إلى «الهامة» .

8 ـ ومما أبطله الإسلام قول العرب بالصَفَر :

زعموا أن في البطن حيّة إذا جاع الإنسان عضت على شرسوفه وكده . وقيل هو الجوع بعينه . . . .

فأما لفظ الحديث «لا عدوى ولا هامة ولا صفر ولا غول» فإن أبا عبيدة معمر بن المثنى قال : هو صفر الشهر الذي بعد المحرم ، قال : نهى عليه الصلاة والسلام عن تأخيرهم المحرّم إلى صفر ، يعني ما كانوا يفعلونه من النسيء . قال ابن أبي الحديد : ولم يوافق أحد من العلماء أبا عبيدة على هذا التفسير .

قال السيد الألوسي .

أقول : الذي رأيته في «فتح الباري» ما حاصله أن العرب كانت تحرم صفر وتستحل

---

(3) هذه الأبيات من قصيدة طويلة في «ذيل أمالي القالي» . كما أوردها ابن خلكان في ترجمة المهلّب والدالمرثي (بلوغ الأرب 310/2)

المحرّم فحر الإسلام بردّ ما كانوا يعلمونه من دلك فلذلك قال النبي - ﷺ - الحديث .

وهذا القول مروي عن مالك ، وقد فسّره البخاري في «صحيحه» بأنه داء يأخذ البطن .

وقد نقل أبو عبيدة في «غريب الحديث» له عن يونس بن عبيد الجرمي : أنه سأل رؤبة بن العجاج فقال : هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس وهي أعدى من الجرب عند العرب . . . .

ورجح عند الإمام البخاري هذا القول ، ووافقه الطبري . . . . قال الأعشي :

لا يتأرّى لما في القِدر يرقبه ولا يعَضّ على شُرسوفه الصَفَرُ

. . . .

9 - ومن خرافاتهم :

أن الرجل منهم كان إذا أراد دخول قرية فخاف وباءها أو جنّها وقف على بابها قبل أن يدخل فنهق نهيق الحمار ، ثم علق عليه كعب أرنب ، كأنّ ذلك عوذة له ورقية من الوباء والجن . ويسمّون هذا النهيق «التعشير» ، قال شاعرهم :

ولا ينفع التعشير إن حُمّ واقع ولا زعزَع يغني ولا كعب أرنب

. . . .

10 - ومن مذاهب العرب «الرَّتَم» :

وذلك أن الرجل منهم كان إذا سافر عمد إلى خيط فعقده في غصن شجرة ، أو في ساقها ، فإذا عاد نظر إلى ذلك الخيط ، فإن وجده بحاله علم أن زوجته لم تخنه . وإن لم يجده أو وجده محلولاً قال : قد خانتني ، وذلك العقد يسمى «الرتَم» . ويقال : بل كانوا يعقدون طرفاً من غصن الشجر بطرف غصن آخر . وقد ختم السيد الألوسي هذا بنماذج تشير إلى «الرتَم» .

ومن أمثال العرب «أمحل من تعقاد الرتم» ذكره الميداني في «مجمع الأمثال» . . . . .

11 - ومن مذاهبهم ما حكاه ابن السكّيت قال :

أن العرب كانت تقول أن المرأة المِقلات ، وهي التي لا يعيش لها ولد ، إذا وطئت القتيل الشريف عاش ولدها ، قال بشر بن أبي خازم :

تظل مقاليت النساء يطأنه يقُلنَ ألا يلقي على المرء مئزر

وقال أبو عبيدة : تتخطّاه المقلات سبع مرات ، فذلك وطؤها له . وقد ورد هذا في أشعارهم .

. . . .

12 ـ ومن تخيّلات العرب

أنهم كانوا إذا خافوا على الرجل الجنون وتعرّض الأرواح الخبيثة له نجّسوه بتعليق الأقذار عليه كخرقة الحيض وعظام الموتى وقالوا: وأنفع من ذلك أن تعلّق عليه طامث عظام موتى، لا يراها يومه ذلك، وأنشدوا للممزّق العبدي:

فلو أن عندي جارتين وراقياً ... وعلّق أنجاساً عليّ المعلّق

قالوا: والتنجيس يشفي إلاّ من العشق، وقال أعرابي:

يقولون علّقْ يالكَ الخيرُ رُمّةً ... وهل ينفع التنجيس من كان عاشقاً

....

13 ـ ومن مذاهبهم:

أن الرجل منهم كان إذا خدِرت رجله ذكر من يحبّ أو دعاه فيذهب خدرها.

....

أقول: وفي أشعارهم إشارات إلى هذا.

14 ـ ومن مذاهبهم وهو نظير هذا الوهم:

أن الرجل منهم كان إذا اختلجت عينه، قال: «أرى من أحبّه» فإن كان غائباً توقّع قدومه، وإن كان بعيداً توقّع قربه، قال بشر:

إذا اختلجت عيني أقول لعلها ... فتاة بني عمرو بها العين تلمع

....

15 ـ ومن مذاهبهم:

أن الرجل منهم كان إذا عشق ولم يسل وأفرط عليه العشق حمله رجل على ظهره كما يُحمل الصبي، وقام آخر فأحمَى حديدة أو مِيلاً وكوى بين أليتيه فيذهب عشقه فيما يزعمون، قال أعرابي:

كويتُم بين رانفتيَّ جهلاً ... ونار القلب يُضرمها الغَرامُ

....

16 ـ ومن أوهامهم وتخيّلاتهم:

أنهم كانوا يزعمون أن الرجل إذا أحبّ إمرأة وأحبّته فشقّ برقعها وشقّت رداءه صلح حبّهما ودام، فإن لم يفعلا ذلك فسَد حبّهما، قال سُحيم عبد بني الحسحاس:

وكم قد شققنا من رداءٍ محبَّرٍ ... ومن برقعٍ عن طفلةٍ غير عانسِ

إذا شُقّ بُرد شُقّ بالبُرد برقعٌ ... دواليك حتى كلنا غير لابس

نـروم بهذا الفعـل بقيـا عـلى الهـدى　　　وإلف الهدى يغرَى بهذي الوسـاوس

. . . .　　　. . . . .

17 ـ ومن مذاهبهم :

أنهم كـانوا يـرون أن أكل لحـوم السباع يـزيد في الشجـاعة والقـوة . . . . قال بعضهم :

أبــا لمعــارك لا تتعب بــأكلك مــا　　　تــظنّ أنّــك تـلقـي مــنــه كــرّارا

فلو أكلت سبــاع الأرض قــاطبــةً　　　مــا كنتَ إلاّ جبــان القلب خــوّارا

. . . .　　　. . . . .

18 ـ ومن مذاهبهم :

أن صاحب الفرس المهقوع إذا ركبه فعرق تحته اغتلمت امرأته وطمحت إلى غيره . والهقعة دائرة تكـون بالفـرس ، وربما كـانت على الكتف في الأكـثر ، وهي مستقبحة عندهم . قال بعضهم لصاحبه ينبهه على ذلك :

إذا عـرق المهقـوع بـالمرء أنعـظَـت　　　حــليـلتـه وازداد حَــرّاً عــجــانُها

فأجابه صاحبه رادّاً عليه فيما اعتقده :

وقـد يـركب المهقــوع من ليس مثله　　　وقـد يـركب المهقــوع زوجُ حَصـانِ

. . . .　　　. . . . .

19 ـ ومن مذاهبهم :

أنهم كانوا يوقدون النار للمسافر الذي لا يحبون رجوعه خلفه ويقولون في دعائهم «أبعده اللّه وأسحقه وأوقد ناراً أثره» قال بعضهم :

صحـوتَ وأوقـدت للجهـل نـاراً　　　وردّ عليـك الصبـا مــا استعـارا

وكانوا إذا خرجوا إلى الأسفار أوقدوا ناراً بينهم وبين المنزل الذي يريدونـه ، ولم يوقدوها بينهم وبين المنزل الذي خرجوا منه تفاؤلاً بالرجوع .

20 ـ ومن مذاهبهم المشهورة تعليق كعب الأرنب :

قال ابن الأعرابي : قلت لزيد بن كثوة : أتقولون إن من عُلّق عليه كعب أرنب لم تقربه جنّان الدار لا عُمّار الحي ؟ قال إي واللّه ، ولا شيطان الحماطة (وهو شجر شبيه بالتين ، وهو أحبّ شجر إلى الحيّات) ولا جار العُشَيرة (هي شجرة أيضاً) ولا غول القفر ، وقال امرؤ القيس :

أبــا هـنــد لا تنكحـي بـوهــةً　　　عـليــه عـقـيـقـتــه أحـســبــا

مــوصَّــعــةً بــين أرزنــاقــه　　　بــه عـسَـم يـبـتــغـي أرنــبــا

ليجعل في رجله كعبها جِذارَ المنية أن يعطبا

وقال أبو محلّم : كانت العرب تعلق على الصبي سنّ ثعلب وسنّ هرّة خوفاً من الخطفة والنظرة .

ويقولون : إن جنّية أرادت صبي قوم فلم تقدر عليه فلامها قومها من الجن في ذلك ، فقالت تعتذر إليهم :

كان عليه نُفَرهْ ثعالب وهِررهْ
والحيض حيض السَمُرهْ

يعني كان عليه ما ينفّرني منه لأن أتعرض له . والسمرة من شجرة الطلح ، وحيضها شيء ، يسيل من السمر وهو صمغه الذي يسيل منه ينقطّون بين عيني النُفساء ، وخطّوا على وجه الصبي خطاً ، ويسمّى هذا الصمغ السائل من السمر الدودم ، ويقال بالذال المعجمة أيضاً . وتسمَّي هذه الأشياء ، التي تعلَّق على الصبي «النُفَرات» .

قال عبد الرحمن بن أخي الأصمعي : أن بعض العرب قال لأبي : إذا ولد لك ولد فنفِّر عنه ، فقال له أبي : وما التنفير ؟ قال : غرِّب اسمه ، فولد له ولد فسماه «قُنفذاً» وكناه أبا العدّاء ، قال : وأنشد أبي :

كالخمر مَزُج دوائها منهابها تشفي الصُداع وتُبرىء المنجودا

قال يريد : أن القنفذ من مراكب الجن .

21 ـ ومن مذاهبهم الإستعاذة بالجن :

كان الرجل منهم إذا ركب مفازةً وخاف على نفسه من طوارق الليل عمد إلى وادٍ ذي شجر وأناخ راحلته في قرارته ، وهي القاع المستديرة ، وعقلها وخطّ عليها خطّاً ، ثم قال : أعوذ بصاحب هذا الوادي ، وربما قال : بعظيم هذا الوادي . وعن هذا قال اللّه ـ سبحانه ـ ﴿**وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجالٍ من الجنّ فزادوهم رهَقاً**﴾ .

واستعاذ رجل منهم ومعه ولد فأكله الأسد ، فقال :

قد استعذنا من عظيم الوادي من شرّ ما فيه من الأعادي
فلم يُجرِنا من هزبرٍ عاديٍ

22 ـ ومن مذاهبهم :

أن الرجل إذا خرج من بلده إلى آخر فلا ينبغي له أن يلتفت ، فإنه إذا التفت عاد ، فلذلك لا يلتفت إلاّ العاشق الذي يريد العود ، قال بعضهم ؛

دع التلفُّت يا مسعود وارم به   وجهَ الهواجر تأمن رجعة البلد

وقال آخر أنشده الخالع :

عيل صبري بالثعلبيّة لمّا   طال ليلي وملّني قُرنائي
كلما سارت المطايا بنا   مبلاً تنفّست ورائي

قال ابن أبي الحديد : هذان البيتان ذكرها الخالع في هذا الباب ، وعندي أنه لا دلالة فيهما على ما أراد ، لأن التلفّت في أشعارهم كثير ومرادهم به الإبانة والإعراب عن كثرة الشوق والتأسف على المفارقة ، وكون الراحل عن المنزل حيث لم يمكنه المقام فيه بجثمانه يتبعه بصره ويتزوّد من رؤيته كقول السيد الرضي :

ولقد مررتُ على طلولهمُ   ورسومها بيد البلى نَهْبُ
فوقفتُ حتى ضجَّ من لغَبٍ   نِضويْ ولجَّ بعذلي الركبُ
وتلفّتتْ عيني فمذ خَفِيتْ   عني الطلول تلفَّتَ القلبُ

وليس يقصد بالتلفت ههنا التفاؤل بالرجوع إليها لأن رسومها قد صارت نهباً بيد البلى فأي فائدة في الرجوع إليها ، وإنما يريد ما قدمنا ذكره من الحنين والتذكر لما مضى من أيامه فيها . . . . .

23 ـ ومن مذاهبهم إذا بثرت شفة الصبي :

حمل منخلاً على رأسه ونادى بين بيوت الحي : الحلأ الحلأ ، الطعام الطعام ، فتلقي له النساء كِسر الخبز وأقطاع التمر واللحم في المنخل ، ثم يلقي ذلك للكلاب فتأكله فيبرأ من المرض . فإن أكل صبيٌّ من الصبيان من ذلك الذي ألقاه للكلاب تمرةً أو لقمة أو لحمة بثرت شفته ، وأنشد لإمرأة :

ألا حلا في شفةٍ مشقوقهْ   فقد قضى منخلنا حقوقه

الحلأ «محركة» العقبول وهو واحد العقابيل ، وهي بقايا العلة وما يخرج على الشفة غب الحمى ، وحَلئت الشفة برئت بعد المرض . . . .

24 ـ ومن مذاهبهم أن الرحيل منهم كان إذا طرفت عينه :

بثوب آخر مسح الطارف عين المطروف سبع مرات ، يقول في الأولى : بإحدى جاءت من المدينة ، وفي الثانية : بإثنين جاءتا من المدينة . . . . وهكذا إلى السابعة . . . .

25 ـ ومن مذاهبهم أن الرجل منهم إذا ظهرت فيه القُوباء وعالجها بالريق

ويُروى أن أعرابياً أصابته قوبة ، فقيل له كل يومٍ صع عليها الريق فوضع عليها فصحّت، فقال :

يــا عــجــبــاً لهــذه الــفــليــقــةْ   هــل تُــدهبنّ القُــوبــاء الــريقــةْ

26 ـ ومن مذاهبهم :

أنهم يزعمون أن ابن المجوسي إذا كان من أحته وخطّ على النملة تبرأ وترأب ، قال الشاعر يشير إلى هذا المذهب :

ولا عيبَ فــينــا غــير عــرق لمعشرٍ   كــرامٍ وأنـا لا نخطُّ عــلى النمــل

أي لسنا بمجوس ننكح الأخوات ، وكانوا يكنون عن المجوسي بقولهم : فلان يخطّ على النمل . . . .

27 ـ ومن مذاهبهم :

أن المرأة منهم كانت إذا عسر عليها خاطب النكاح نشرت جانباً من شعرها ، وكحلت إحدى عينيها مخالفة للشعر المنشور ، وحجلت على إحدى رِجليها ، ويكون ذلك ليلاً ، وتقول : يا لكاح ، أبغني النكاح ، قبل الصباح ، فيسهل أمرها وتتزوج عن قرب . قال رجل لصديقه وقد رأى أمّه تفعل ذلك :

أمــا تَــرى أمَّــك تبغي بعْــلاً   قــد نشرت من شعــرهــا الأقــلّا
ولم تــوفِّ مــقــلتَــيــهــا كُــحــلاً   تــرفــع رِجــلاً وتخطّ رِجــلاً
هــذا وقــد شــاب بنــوهــا أصــلاً   واصبــح الأصغــر منهم كــهــلاً
خــذ القــطيــعَ ثم سُمْهــا الــذُلاّ   صربــاً بــه تــترك هــذا الفعــلا

28 ـ ومن مذاهبهم :

أنهم يقولون أن من ولد في القمراء تقلّصت غُرلته فكان كالمختون .

قال ابن أبي الحديد : ويجوز عندنا أن يكون ذلك من خواص القمر !! . . . .

. . . .

قال امرؤ القيس لقيصر وقد دخل معه الحمام فرآه أقلف :

إني حلفت يمينــاً غــيرَ كــاذبــةٍ   لأنتَ أغلَف إلاّ مــا جنى القَمَــر

والأغلف والأقلف بمعنى وهو الذي لم يختن .

29 ـ ومن مذاهبهم التشاؤم بالعُطاس :

قال امرؤ القيس :

وقد أغتدي قبل العُطاس بهيكــل   شــديد منيــع الجنب نعم المنــطّق

أراد أنه كان يتنبه للصيد قبل أن يتنبّه الناس من نومهم لئلاّ يسمع عطاساً فيتشاءم بعطاسه . . . .

أقول : ثم مضى السيد الألوسي في إيراد ما ورد في الأثر مما يتصل بالدعاء للعطاس ، والكلام على العطاس وعلاجه .

ثم انصرف إلى ضرب أخرى من التشاؤم كالتشاؤم بالغراب ونحوه من الطيور وسائر الحيوان ، وختم هذا كله بقصة عمرو بن يربوع والغول .

ثم تكلم على «الغول» وما ورد فيها من الشعر ، وقال : والغالب منه من شعر تأبط شرّاً ، وهو من فحول الشعراء في الجاهلية ، وقد ترجم له ترجمة تفي بالحاجة .

واقتضاه الأمر وهو يتكلم على الغول ، أن يورد ما جاء في الشريعة من أمرها ، وما ورد في شعرهم وأحاديثهم من أنهم رأوا الجنّ وخاطبوهم .

وهذا كله قد اقتضى المؤلف أن يتكلم على اعتقادهم في حيوانات أخرى كالديك ، أو الغراب ، والحمامة ، والورل ، وساق حر ، والقنفذ ، والأرنب والظبي واليربوع والنعام والحيّة فقد اعتقدوا أن فيها الجن أو أنها الجن ، أو أنها مراكب للجن . . . .

وقد ختم السيد الألوسي هذا الجزء الثاني من كتابه بالكلام على شياطين الشعراء وبدأ الكلام بـ«مسحل» هاجس الأعشي وأورد ما كان من خبره في «الأغاني» .

انتهى الجزء الثاني من «بلوغ الأرب» .
وسنأتي إلى الجزء الثالث .

مصادر الجزء الثاني

وقد أفاد من جملة مصادر في إثبات ما أثبته في هؤلاء الرجال وهي ؛

1 ـ الإصابة لإبن حجر .
2 ـ سيرة ابن سيد الناس .
3 ـ كتاب المعمَّرين لأبي حاتم السجستاني .
4 ـ الإستيعاب في معرفة الأصحاب لإبن عبد البرّ .
5 ـ ديباجة العقائد العضدية للدواني .
6 ـ شرح الفوائد الغياثية لعيسى الصفوي .
7 ـ حواشي الكازروني .
8 ـ تفسير البيضاوي .
9 ـ السيرة لإبن إسحاق .
10 ـ صحيح الإمام البخاري .
11 ـ الشعر والشعراء لإبن قتيبة .
12 ـ الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني .
13 ـ كتاب المعارف لإبن قتيبة .
14 ـ أعلام النبوة للماوردي .
15 ـ أمالي السيد المرتضى .
16 ـ الأصنام لإبن الكلبي .
17 ـ القاموس المحيط للفيروزأبادي .
18 ـ جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار .
19 ـ البداية والنهاية لإبن كثير .
20 ـ الروض الأنف للسهيلي .
21 ـ الجماجم لأبي عبيدة .
22 ـ طبقات الشعراء لإبن سلام .

بلوغ الأرب

الجزء الثالث

كلمة قصيرة :

أن مادة هذا الجزء الثالث تتمة لما ورد في الجزء الثاني فالمؤلف في طريقه إلى استيفاء ما درج عليه العرب في عاداتهم ومعتقداتهم .

وسأعرض لهذا « الفوائد» التي وردت في هذا الجزء :[1]

1 ـ ما ثبت عنهم في الغائب إذا لم يقفوا على خبره :

كانوا إذا غُمَّ عليهم أمر الغائب ولم يعرفوا له خبراً جاءوا إلى بئر عاديّة (أي مظلمة بعيدة القعر قديمة) أو جاؤوا إلى حفر قديم ونادوا فيه : يا فلان ، أو يا أبا فلان ثلاث مرات ، ويزعمون أنه إن كان ميتاً لم يسمعوا صوتاً ، وإن كان حيّاً سمعوا صوتاً ربّما توهّموه توهماً ، أو سمعوه من الصدى فبنوا عليه اعتقادهم ، قال بعضهم :

دعوتُ أبا المغوار في الحفر دعوةً ... فما آض صوتي بالذي كنتُ داعياً
أظنّ أبا المغوار في قعر مظلمٍ ... تجرُّ عليه الذاريات السوافيا
....

2 ـ ومن مذاهبهم العجيبة :

أنهم كانوا في الحرب ربّما أخرجوا النساء فبُلن بين الصفين ، يرون أن ذلك يطفيء نار الحرب ويقودهم إلى السلم ، قال بعضهم :

لقونا بأبوال النساء جهالة ... ونحن نلاقيهم ببيض قواضبِ

وقال آخر :

بالت نساء بني خُراشةَ خيفةً ... منّا وأدبَرت النساء شِلالا
....
....

3 ـ وأما مذاهبهم في الخرَز والأحجار والرُقي والعزائم فمشهورة

فمن خرزاتهم «السُّلوانة» ويقال لها «السَّلْوة» وهي خرزة يُسقى العاشق منها

(1) بلوغ الأرب ص 3ـ 93 .

فيسلو في زعمهم ، وهي بيضاء شفافة ، قال الراجز :

لـــو أشرب السُّلوان مـــا سَـليتُ   مـــا بي عـنىً عنـكم وإن غَـنيتُ

والسُّلوان جمع سُلوانة .

وقال اللحياني : السُّلوانة تراب من قبر يُسقى منه العاشق فيسلو ، قال عروة بن حزام :

جعلت لعـرّاف اليـمامــة حكمـه   وعَــرّاف نجـدٍ إن هُمــا شفيـاني

فقالا : نعم نشفي من الداء كله   وقــامــا مــع العُــوّاد يبتــدران

فــما تـركـا من رُقيـةٍ يعــرفـانها   ولا سلْوةٍ إلاّ وقـد سقـيـــاني[2]

. . . .

ومن خرزاتهم :

«الهِنَّمة» لاجتلاب الرجال ، ورقيته : أخذته بالهنّمة ، بالليل زوج وبالنهار أمة .

ومنها «الفَطسة» و«القَبلة» و«الدردبيس» وكلها لإستجلاب قلوب الرجال . قال الشاعر : أبيات . . . . .

ومنها «القِرْزَحلة» ، أنشد ابن الأُعرابي :

لا تنفــع القِـرْزَحلة العجــائــزا   إذا قــطعــنــا دونها المــفــاوزا

وهي من خرز الضرائر ، إذا لبستها المرأة مال إليها بعلها دون صرّتها .

ومنها خرزة «العُقرة» تشدّها المرأة على حَقويها فتمنع الحَبل . ذكر ذلك ابن السكّيت في «إصلاح المنطق» .

ومنها «الينجلِب» ورقيتها : أخذته باليَنجلب ، فلا يرِم ولا يَغِب ، ولا يزَل عند الطُنُب . ذكر ذلك الأزهري في «التهذيب» .

ومنها «كرارِ» وأرقيتها : يا كرارِ كُريه ، إن أقبل فسُريه ، وإن أدبَر فضُرّيه ، من فرجه إلى فيه .

ومنها «الهَمرة» وأرقيتها : يا هَمرة اهمريه ، من استه إلى فيه ، وماله وبنيه .

ومنها «الخَصمة» وهي خرزه للدخول على السلطان والخصومة تجعل تحت فصّ الخاتم أو في زرّ القميص أو في حمائل السيف ، قال بعضهم :

يُعلق غيري «خصمة» في لقـائهم   ومالي عليكم خَصمة غـير منطقي

ومنها «الوجيهة» وهي كالخصمة حمراء كالعقيق .

(2) انظر ذيل الأمالي والنوادر للقالي (المطبعة الأميريّـة الكبرى سنة 1324) ص 159 .

ومنها «العطفة» وهي خرزة العطف .

ومنها «الكَحْلة» وهي خرز سوداء تجعل على الصبيان لدفع العين عنهم .

ومنها «القبلة» خرزة بيضاء تجعل في عنق الفرس من العين .

ومنها «الفطنسة» خرزة يمرض بها العدوّ ويقتل ورقيتها : . .

. . . .

ولهم رقي كثيرة منها للحب ، ومنها ما تقوله الفارك (وهي المبغضة لزوجها) ومن ذلك «النُشْرة» التي قال فيها النبي - ﷺ - : وهي من عمل الشيطان و«النشرة» ضرب من الرقية والعلاج ، يعالج بها من كان يُظن أن به مسّاً من الجن. و«التميمة» يقال إنها خرزة كانوا يعلقونها يزعمون أنها تدفع الشرّ

. . . .

4 ـ ومن مذاهبهم «الوشم»

وقد أبطله الإسلام وقد نُهي عنه في الحديث الشريف . . . .

5 ـ ومن مذاهبهم النياحة على الهالك منهم والندب ،

أشار إليه الشعراء ، قال طرفة :

فـإن مِتُّ فـانعيـني بمـا أنـا أهـله ... وشُقّي عـليّ الجيبَ يـا ابنـةَ معبَـدِ

وقال لبيد لابنيه لما حضرته الوفاة :

تَمَنّى ابنتـايَ أن يـعيش أبـوهمـا ... وهـل أنـا إلاّ من ربيعـة أو مُضَرْ

فقـومـا وقـولا بـالـذي تعلمانـه ... ولا تخمشـا وجهـاً ولا تحلِقـا شَعَـرْ

وقـولا : هو المرء الذي لا صـديقـه ... أضـاع ، ولا خان الأمـين ولا غَـدَرْ

إلى الحـول ثم اسم السـلام عليكـما ... ومن يبـكِ حولاً كـاملاً فقـد اعتـذَرْ

وقد أبطلت الشريعة ذلك . . . .

ومن عوائدهم في هذا الباب ما حكاه الأصمعي قال :

كانت العرب إذا مات فيهم ميت له قدر ، ركب راكب فرساً ، وجعل يسير في الناس ويقول : نَعاءِ فلاناً ، أي إنعِه وأظهر وفاته . قال المتنخل الهذلي :

أقـول لمّـا أتـاني النـاعيـان بـه ... لا يبعَد الرُمح ذو النصلين والرجـلُ

رمـحٌ لنـا كـان لم يُفلَلْ ننـوء بـه ... تُـوقَى بـه الحـرب والضرّاء والجَلَلُ

رَبّـاءُ شـماء لا يـأوي لـقُلّتـهـا ... إلاّ السحـابُ وإلاّ الأوبُ والسَبَلُ[3]

. . . .

. . . .

---

(3) الأبيات من قصيدة طويلة في «الأغاني» 20/145 (ط الساسي)

6 ـ ومن مذاهبهم قولهم للميت إذا مات **لا تبعد** ، قالت الخرنق .

لا يبعدن قومي الذين هُمُ سُمُّ العُداة وآفة الجُزْر
النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الأُزْر

....

7 ـ ومن مذاهبهم جزّ النواصي :

كانت العرب إذا أنعمت على الرجل الشريف بعد أسره جَزّوا ناصيته وأطلقوه ، فتكون الناصية عند الرجل يفخر بها ، قال بشر بن أبي خازم :

وإذا جُزّت نواصي آل بدرٍ فأدُّوها وأسرى في الوثاق
وإلاّ فاعلموا أنّا وأنتم بُغاة ما بقينا في شقاقِ

وقد أورد المؤلف سبب هذا الشعر وهو كلام طويل .

وما أحسن قول الخنساء :

جَزَرنا نواصيَ فرسانهم وكانوا يظنّون أن لا تُجَزّا
ومن ظنّ ممّن يُلاقي في الحروب بأن لا يُصابَ فقد ظنَّ عَجْزا

8 ـ ومن مذاهبهم أنهم إذا أسروا أسيراً وكان شاعراً ربطوا لسانه بنسعةٍ ، وعلى ذلك قول عبد يغوث الحارثي في قصيدة .

أقول ، وقد شدّوا لساني بنِسْعةٍ أمعشرَ تيمٍ أطلقوا عن لسانيا
أمعشر تيم قد ملكتم فأسجحوا فإنّ أخاكم لم يكن من بَوائيا
فإن تقتلوني تقتلوا بيَ سيّداً وإن تطلقوني تحربوني بماليا

قالوا إنهم شدّوا لسانه بنسعةٍ حقيقة ، وإليه ذهب الجاحظ في «البيان والتبيين» والأصبهاني في «الأغاني» . وفي «أمالي القالي» و«شرح المفضليات» لابن الأنباري أن هذا مثل لأن اللسان لا يشدّ بنسعةٍ ، وإنما أراد . افعلوا خيرفا لينطلق لساني بشكركم ....

9 ـ ومن مذاهبهم خضاب النحر :

كانوا يعيرون بحيلهم في الصيد، وكان السابق منهم يرفع له في الفخر رايات ، وكان السابق أيضاً في الوصول إلى الصيد يخضبون نحره بدم الصيد ، علامة على كونه سباقاً لا يدرك . . . .

10 ـ ومن مذاهبهم التعقية :

قال أبو العباس ثعلب : التعقية سهم الإعتذار .

وقال ابن الأعرابي : أصل هذا أن يقتل رجلاً من قبليته فيطلب القاتل بدمه فيجتمع

جماعة من الرؤساء إلى أولياء المقتول بدية مكملة ويسألونهم العفو وقبول الدية . فإن كان أولياؤه ذوي قوّة أبوا ذلك وإلا قالوا لهم · بيننا وبين خالقنا علامة للأمر والنهي .

ويقول الآخرون : ما علامتكم ؟ فيقولون : أن تأخذ سهماً فترمي به نحو السماء فإن رجع إلينا مضرَّجاً مسحوا بالدم فقد نهينا عن أخذ الدية ، وإن رجع كما صعد فقد أمرنا بأخذها ، وحينئذٍ مسحوا لحاهم وصالحوا على الدية ، وكان مسح اللحية علامة للصلح ، قال الأشْعر الجعفي .

عقّوا بسهمٍ ثم قالوا : سالموا — يا ليتني في القوم إذ مسحوا اللحى

. . . . — . . . .

ومن شعر الهذلي ما أنشده أبو عبيد البكري في «شرح نوادر القالي» :

لا ينسىء اللّه منّا معشراً شهدوا — يومَ الأميلح لا عاشوا ولا مرحوا

عقّوا بسهم فلم يشعر به أحد — ثم استفاءوا وقالوا : حبذا الوضحَ

قال البكري · هذا من شعر يهجو به ناساً من قومه كانوا مع أبيه حجّاجاً يوم قتل . وقوله : لا يُنسيء اللّه أي لا يؤخرّ اللّه موتهم . . . . و«عقّوا» بضم القاف وفتحها ، لأنه جاء من بابين ، فإنه يقال : عقّ بالسهم إذا رمى به نحو السماء ، ودلك السهم سمّى «عقيقة» ويقال له أيضاً سهم الإعتذار «فعقوا» بضم القاف .

ويقال : عقّى بسهمه تعقيةً إذا رماه بالهواء فعقوا بفتح القاف .

وكانت العرب تعيب على من يأخذ الدية ويرضى بها من درك ثأره . . . . كقول القائل يهجو من يأخذ الدية من الإبل :

وإن الذي أصبحتم تحلبونه — دم غير أن اللون ليس بأشقرا

وقال جرير بعيّر من أخذ الدية فاشترى بها نخلاً :

ألا أبلغ بني حجر بن وهبٍ — بأن التمر حلو في الشتاء

. . . . — . . . .

11 ـ ومن مذاهبهم حمل الملوك على الأعناق إذا مرضوا :

قال أبو عبيدة : وكانت ملوك العرب إذا مرض أحدهم حملته الرجال على أكتافها يتعاقبونه لأنه عندهم أوطأ من الأرض .

قال النابغة الذبياني :

ألم أقسم عليك لتخبرني — أمحمول على النعش الهمامُ

فإني لا ألومك في دخولٍ — ولكن ما وراءكَ يا عصامُ

فـإن يهلكْ أبـو قـابـوس يهلكْ ... ربيـع النـاس والشهـر الحـرام
ونـأخـذ بعـده بـذنـابِ عيشٍ ... أجَبِ الـظهـر ليس لـه سَنـامُ

وحديث هذه الأبيات معروف ، وذلك مشهور من علاقة النابغة بالنعمان وهـربه بسبب ما كان من عصام بوّاب النعمان الذي أخبر النابغة أن النعمان ستوقع به .

. . . .

12 ـ ومن مذاهبهم دية الملوك وغيرهم :

كان عامة العرب يأخذون في دية النفس مائة من الإبل ، وكان هذا الحكم جارياً بين قبائلهم . . . . ولما كان الملوك ممتازين عندهم في كثير من الأحكام جعلوا دية أحدهم ألف بعير ، قال قراد بن حنش الصاردي :

ونحن رهنّا القوس تمت فوديت ... بـألفٍ على ظهـر الفزاري أقـرعا
بـعشر مئين لـلملوك سَعـى بهـا ... ليـوفي سيّـارَ بن عمـرو فـأسرعـا

قال ابن عبد ربه في «العقد الفريد» أن سيّار بن عمرو بن جابر الفـزاري احتمل للأسود ابن المنذر دية ابنه الذي قتله الحارث بن ظالم ألف بعير وهي دية الملوك ورهنه بها قوسه فوفى . وكان هذا قبل قوس حاجب بن زرارة .

وقـال أبو عبيـدة في «مقاتـل الفرسـان» : إنّ أخا سيّـار لأمه الحـارث بن سفيان الصاردي تكفّلها للأسود فقام منها بثمانمائة ، ثم مات فرهن سيّار قـوسه عـلى المائتين الباقيتين لا غير . فلما مدح قراد بن حنش جعل الحَمالة كلها لسيّار .

. . . .

13 ـ ومن مذاهبهم تحريم الخمر على نفوسهم إلى أن يأخذوا ثأرهم :

قال الشنفرى يرثي خاله تأبّط شرّاً ويذكر إدراكه ثأره من قصيدة له :

فـادَّركـنـا الـثـأر مـنهـم ولّـمـا ... ينـجُ مـن لَحـيـانَ إلاّ الأقـلُّ
حلَّت الخمـرُ وكـانت حـرامـاً ... وبـلأيٍ مـا ألَمَّـتْ تـحـلُّ

وفي كتاب «مساوىء الخمر» : غزا أمرؤ القيس بني أسد ثائراً بأبيه ، وقد جمع جموعاً من حمير وغيرهم من ذؤبان العرب وصعاليكها ، وهرب بنو أسد من بين يديه حتى أنضوا الإبل وحسروا الخيل ، ولحقهم فظفر بهم وقتل بهم مقتلةً عظيمة وأبارَ حلمة بن أسد ، ومثّل في عمرو وكاهل ابني أسد .

وذكر الكليبي عن شيوخ كندة أنه جعل يسمل أعينهم ويحمي الدروع فيلبسهم إياها وروى أبو سعيد السكري مثل ذلك ، وأنه ذبحهم على الجبل ومزج الماء بدمائهم إلى أن بلغ الحضيض ، وأصابَ قوماً من جذام كانوا من بني أسد . وفي ظفره بني أسد يقول :

قـولا لـدودانَ عبيـد العصـا		مـا غـرَّكم بـالأسـد البـاسـل

إلى أن قال :

لا تسقينِّي الخمـرَ إن لم يَـرَوا		قتـلى فئامـاً بـأبي الفـاضـل
حـتى أبـير الحيُّ مـن مـالـكٍ		قتـلا ومن يُشرف مـن كـاهـل
ومـن بـني غُـنـم بـنِ دودان إذ		نقـذف أعـلاهم عـلى السافـل
نـعلوهـم بـالبيض مسنـونـةً		حتى يُـروا كـالخشب الشـائـل
حـلّتْ لي الخمـر وكنت امـرءاً		عن شربهـا في شغـل شـاغـل
فـاليـوم أشرْب غـير مُستحقبٍ		إثـماً مـن الـلّه ولاً واغـل[4]

. . . .

قال السعدي في «مساوىء الخمر» : إنما قال هذا لأنه لم يكن حضر قتل أبيه ، وكان أبوه أقصاه لأنه كره مه قول الشعر . . . .

14 ـ ومن مذاهبهم في الخليع والرجل اللعين :

كانت العرب في الجاهلية إذا قال قائل منهم : هذا ابني قد خلعته كان لا يؤخذ بجريرته وذنبه . وقال الفاضل الزوزني في «شرح معلقة امرىء القيس» عند الكلام على قوله :

ووادٍ كجـوف العير قَفْـرٍ قـطعتـه		به الذئب يعوي كالخليـع المُعَيَّلِ

الخليع الذي قد خلعه أهله لخبثه ، وكان الرجل منهم يأتي بابنه إلى الموسم ويقول : ألا إني قد خلعت ابني هذا ، فإن جَرَّ لم أضمن ، وإن جُـرَّ علبه لم أطلب فلا يؤخذ بجرائره .

وفي كتاب «فتح الباري» : الخليع . . . .
. . . .

وفي [صحيح] البخاري : وقد كانت هذيل خلعوا خليعاً لهم في الجاهلية . . . .
. . . .

---

(4) في هذا البيت وقفة للنحويين في جزم «أشرب» وليس من جازم ، وقد ذهب السيوطي في «الهمـع» إلى صحة دلك وأنه لغة لثبوتها في القراءات التي أشار إليها .

وقال سيبويه : إنه ضرورة . وأنكر المبرد هذه لرواية وزعم أن الرواية : «فاليوم فاشربْ» وتبعه السيد المرتضى وبعض المعاصرين .

قال ابن جني : اعتراض أبي العباس المبرّد هنـا على «الكتـاب» إنما هـو على العـرب لا على أبي العباس : «إنما الرواية : فاليوم فاشربْ» مكأنه قال لسيبويه : كذبت على العرب ولم تسمع ما حكيته عنهم ، وإذا بلغ الأمر هذا الحد من السرف فقد سقطت كلفة القول معه . . . . .

من تعليق الأستاذ الأثري ص 20

ويسمى الخليع الرجل اللعين . .

قال أبو عبيد البكري في شرح «ذيل الأمالي» . كان الرجل في الجاهلية إذا غدر وأخفر الذمّة جُعِل له مثال من طين ونصب ، وقيل : ألا أن فلانا قد غدر فالعنوه كما قال الشاعر :

فلنقتلنَّ بخالدٍ سرواتكم ولنجعلنَّ لظالمٍ تمثالا

فالرجل اللعين هو هذا التمثال . وبعضهم يقول : الرجل اللعين هو نفس الخليع .

وقالوا : اللعين هو الطريد .

15 ـ ومن مذاهب العرب : المعاقرة :

وهو أن يتبارى الرجلان ، كل واحد منهما يجادل صاحبه فيعقر هذا عدداً من إبله ، ويعقر صاحبه فأيهما كان أكثر عقراً غلب صاحبه ونفره .

وفي «شرح سنن أبي داود» للخطابي . . . . أن الرسول ـ ﷺ ـ نهى عن «المعاقرة» وكره أكل لحوم الإبل المعقورة لئلا يكون مما أُهِلَّ لغير اللّه .

ثم قال : وفي معناه مما جرت به عادة الناس من ذبح الحيوان بحضرة الملوك والرؤساء عند قدومهم البلدان وأوان حدوث نعمة أو نحو ذلك من الأمور .

وقد وقعت معاقرة عظيمة في صدر الإسلام من غالب أبي الفرزدق ، وإليها اشار جرير في هجائه للفرزدق :

تعدّون عَقر النيب أفضل مجدكم بني ضَوطَري لولا الكمي المُقَنَّعا

وقد أورد القالي في «ذيل أماليه» هذه الحكاية مفصلة [5] .

16 ـ كان من عوائد العرب في الجاهلية :

أن ينفرد العزيز منهم بالحِمى لنفسه كالذي كان يفعله كليب بن وائل فإنه كان يوافي بكلب ، على نشر من الأرض ، ثم يستعويه ويحمي ما انتهى إليه عواؤه من كل الجهات ، ويشارك الناس فيما عداه ، حتى كان ذلك سبب قتله ، وفيه يقول العباس بن مرداس من قصيدة :

كما كان يبغيها كليبُ بظلمه من العز حتى طاح وهو قتيلها
على وائل إذ يترك الكلبَ نابحاً وإذ يمنع الأفناء منها حلولها

---

(5) ذيل الأمالي (بولاق) ص 53 .

وفي «مجمع الأمثال» للميداني تفسير للمثل «أعزّ من كليب وائل» . . .

. . . .

وجاء في «شرح سنن أبي داود» للخطابي أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : لا حِمَى إلا للّه ورسوله .

ولأئمة المسلمين كلام طويل في الحمي (انظر«الأحكام السلطانية» للماوردي) .

17 ـ مذهبهم في البحيرة والسائبة أيام الجاهلية :

قال الزجاج . كان أهل الجاهلية إذا نُتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بَحروا أذنها وشقّوها وامتنعوا من نحرها وركوبها ولا تطرد من ماء ولا تمنع من مرعى وهي «البحيرة» .

أقول : لعلماء اللغة والمفسرين فيها كلام كثير .

وأما «السائبة» فهي الناقة تبطن عشرة أبطن إناث فتهمل ولا تركب ولا يُجز وبرها ولا يشرب لبنها إلا ضيف ، وعن محمد بن إسحاق : وقيل هي التي تُسَّير للأصنام فتعطي للسدنة ، ولا يطعم من لبنها إلا أبناء السبيل .

وقيل فيها أقوالاً أخرى .

وأما «الوصيلة» فهي الشاة تنتج سبعة أبطن عناقين عناقين ، وإذا ولدت عناقاً وجَدياً قيل وصلت أخاها فلا يشرب لبن الأم إلّا الرجال دون النساء . .

وقالوا فيها أقوالاً أخرى .

وأما «الحامي» فقد قال الفرّاء هو الفحل إذا لقح ولد ولده فيقولون قد حمى ظهره فلا يركب ويهمل ، ولا يطرد عن ماء ولا مرعى . . . .

وفيه أقوال أخرى .

وهذا كله ما تشير إليه الآية «ما جعَل اللّه من بحيرةٍ ولا سائبة ولا وصيلةٍ ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على اللّه الكذب وأكثرهم لا يعقلون» .

18 ـ مذهبهم في «الفرَع» و«العَتيرة» :

وأما «الفرَع» فهو أوّل النتاج للإبل والغنم وكان أهل الجاهلية يذبحونه لأصنام ثم يأكلونه ويُلقى جلده على الشجر . . . .

وكذلك إذا بلغت الإبل مئة يعتزُّ منها صاحبها بعيراً كل عام ولا يأكل منه ولا أهل بيته . . . .

وفي «مجمع الأمثال» : «أوّل الصيد فرَع» . . . .

وأما «العتيرة» فهي ذبيحة كانوا يذبحونها في رجب يتقربون بها لأصنامهم وهي «الرجبية» .

قال أبو عبيد وغيره : «العتيرة» نذر كانوا ينذرونه إذا بلغ مال أحدهم كذا أن يذبح من كل عشرة منها رأساً في رجب . . . .

وفي «الصحاح» : . . . .

والكلام فيها كثير .

19 ـ ومن مذاهب العرب في الجاهلية الوأد ؛

أقول : وقد حرّم الإسلام الوأد ، والنهي عنه قد ورد في عدة آيات .

قال السيد الألوسي :

وكيفية الوأد كما ذكر غير واحد : إن الرجل منهم كان إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية . وإن أرادت قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية فيقول لأمها : طيّبيها وزيّنيها حتى أذهب بها إلى أحمائها ، وقد حفر لها بئراً في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ، ثم يدفعها من خلفها ويُهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض . . . .

ومنهم من كان يئد من البنات من كانت زرقاء أو شيماء أو برشاء أو كسحاء تشاؤماً منهم بهذه الصفات .

ومنهم من كان يقتل أولاده خشية الإنفاق وخوف الفقر ، وهم الفقراء . . . .
وإليهم أشارت الآية الكريمة .

وفي كتب السير أن صعصعة بن ناجية كان يشتري البنت ممن يريد وأدها خشية الإملاق فأحيا ستاً وتسعين مؤودة إلى زمن النبي ـ ﷺ ـ وفي ذلك يقول الفرزدق :

ومنّا الذي أحيا الوئيدَ وغالب ... وعمرو ومنّا حاجب والأقارع

وقد أفاض السيد الألوسي في هذه المسألة وذكر فيه الحكايات والأخبار .

20 ـ ومن مذاهب العرب في الجاهلية الميسر :

و«الميسر» القمار ، يقال : يسرته إذا قمرته ، واشتقاقه من اليُسر أو من اليَسار ، وإلى هذا أشار الشاعر (سحيم بن وثيل اليربوعي الرياحي) :

أقول لهم بالشِّعْب إذ ييسرونني ... ألم تعلموا أني ابن فارس زَهْدَمِ

وقال لبيد يفتخر بلعب الميسر وفوزه فيه :

وجَزور أيسار دعوت لحتفها ... بمغالق متشابهٍ أجسامُها

أدعــو بهن لعاقــر أو مُـطفــل بُـذلَت لجـيران الجميع لحامُهـا
فـالصيف والجـار الجنيب كـأنّمـاً هَـبَطا تَـبالـةَ مخصباً أهضــامها

والأيسار جمع يَسر وهو صاحب الميسر ، والمغالق سهام الميسر ، وقد سُمِّيت كذلك لأن بها يُغلَق الخطَر وهو السبق الذي يراهَن عليه من قولهم :

غـلِق الـرهـن يـغـلَق عـلَقـاً ، إذا لم يـوجـد لـه تخلص وفكـاك

وفي أشعارهم الكثير من الإشارات إلى الميسر .

وقال الأعشى :

وجزور أيسارٍ دعـوتُ إلى الندى ونيـاط مقفـرة أخـاف ضـلالهـا

وهذا البيت يشير إلى شيء من«صفة الميسر» وهو أن يجتمع الفتيان منهم وذوو اليسار ويشترون جزوراً بما بلغت ، ويدعون الجزّار ويسمونه «القُدار» فينحرها ويجعلها عشرة أجزاء ، فإذا قسمت الجزور على ما تقدم حضر الأيسار (وهم القوم المجتمعون على الميسر وواحدهم يَسر) وجيء بالقِداح وهي عيدان من نبع قد نحتت ومُلست ، وجعلت سوداء في الطول ، ويقال لها الأزلام أو الأقلام ، وهي عشرة :

الفَذّ والتوأم والرقيب والحِلس والنفاس والمُسبِل والمُعلّى والمَنيح والسفيح والوغد .

وللفذ سهم إن فاز ، وسهم يُغرمه إن خاب ، وهكذا على الترتيب . . . .

. . . .

وقد استوفى السيد الألوسي ما ورد في «الميسر» في كتب الأدب واللغة ، وختم الكلام على «مفاسد الميسر» وتحريمه . . . . . .

21 ـ ومن مذاهبهم المشهورة الإستقسام بالأزلام :

وكانوا إذا أرادوا سفراً أو تجارة أو نكاحاً أو اختلفوا في نسب أو أمر قتيل وتحمّل عقل ، أو غير ذلك من الأمور العظيمة ، جاءوا إلى هُبَل وهو أعظم صنم لقريش في مكة ، وكان في الكعبة ، ومعهم مئة درهم ، فأعطوها صاحب القِداح حتى يجيلها لهم ، وكانت أزلامهم سبعة قداح محفوظة عند سادن الكعبة وهي مستوية في المقدار ، عليها أعلام وكتابة ، قد كتب على واحد منها «أمرني ربي» وعلى واحد منها «نهاني ربي» ، وعلى واحد «منكم» وعلى واحد «من غيركم» ، وعلى واحد «ملصق» وعلى واحـد «العقل» وواحـد غُفْل ، أي ليس عليه شيء ، فإذا أرادوا الوقوف على مستقبل الأمر الذي تصدوا له معرفة عاقبته أخير أم شر استقسم لهم أمين القداح بقدحي الأمر والنهي . . . .

. . . .

وحكى أبو الفرج الأصبهاني : أنهم كانوا يستقسمون عند «ذي الخلصة» ، قـال

امرؤ القيس لما خرج يطلب بثأر أبيه استقسم عنده له ما يكره فسبّ الصنم ورماه بالحجارة ، وأنشد .

لو كنت ياذا الخلص الموتورا لم تنهَ عن قتل العداة زوراً

. . . .

وجاء النهي عن ذلك كله في قوله تعالى في آية التحريم .

﴿ . . . . وما ذُبح على النُصب وأن تستقمسوا بالأزلام ذلكم فسق﴾ .

وقد أشار السيد الألوسي إلى ما جاء في تفسير جدّه المسمى «روح المعاني» كما أشار إلى كتاب ابن القيّم المسمّى «الطرق الحكمية»[6] الذي ذكر فيه «القرعة» وجعلها أحد طرق الأحكام الشرعية ، واستدلّ على ذلك بقوله تعالى :

﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يُلقون أقلامهم أيُّهم يكفُل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ .

. . . .

وقد أسار السيد الألوسي إلى طريقة «الإستقسام» .

. . . .

22 ـ ومن مذاهب العرب المشهورة «النسيء» :

أقول : فيما أشار إليه الأستاذ الأثري في حاشيته (ص 71) يبدو أن السيد الألوسي قد أفاد الكلام على النسيء من «صبح الأعشى 2/387» الذي جاء فيه بمادة تاريخية مفيدة .

ومعنى «النسيء» تأخير حرمة شهر إلى آخر . وأصله من «نسأت الشيء» إذا أخرّتُه ، فكانوا يتحرّجون من القتال في الأشهر الحرم وهي المحرّم ورجب وذو القعدة وذو الحجّة . وكانت قبائل منهم يستبيحونها فإذا قاتلوا في شهر حرام حرّموا مكانه شهراً آخر من أشهر الحلّ ويقولون نسيء الشهر ، فيستحلون المحرم ويحرّمون صفَراً ، فإن احتاجوا أيضاً أحلوه وحرّموا ربيعاً ، الأول. . . . وهكذا كانوا يفعلون حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها . . . . . .

. . . .

وأفاد السيد الألوسي من جملة كتب أخرى هي «تفضيل الأزمنة» ليوسف بن عبد الملك[7] و«السيرة» لإبن إسحاق ، ومعجمات العربية ، و«فتح الباري» وغيرها .

وقال تعالى : ﴿إن عدّة الشهور عند اللّه إثنا عشر شهراً في كتاب اللّه يوم خلق

---

(6) طبع بمطبعة الأداب والمؤيد بمصر سنة 1317 ، وانظر ص 265 . عن حاشية الأستاذ الأثري

(7) لعله كتاب مخطوط فلم اهتد إليه في المطبوعات من الكتب ، واللّه أعلم

السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيّم فلا تظلموا أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة واعلموا أن اللّه مع المتقين . إنما النسيء زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا يُحلونه عاماً ويحرّمونه عاماً ليُواطئوا عدة ما حرّم اللّه فيُحلّوا اللّه زُيِّن لهم سوء أعمالهم واللّه لا يهدي القوم الكافرين﴾ .

. . . .

23 ـ الشهور العربية ومآخذ أسمائها :

قال السيد الألوسي .

الشهور العربية قسمان : قسم غير مستعمل وهو الذي وضعته العرب العاربة . وقسم مستعمل وهو الذي وضعته العرب منها بالأسم الذي له وضع له عند استهلال هلاله .

فأما القسم غير المستعمل فأسماء شهور كانت العرب العارية اصطلحوا عليها[8] وهي : مؤتمر ، وناجر ، وحوّان (بالحاء والخاء) وصوان ، ويقال فيه : وَبصان ، ورُبّى ، وأيِّدة ، والأصم ، وعادل ، وناطل ، وواغل ، ووَرْنة ، وبُرَك

وفي هذه الأسماء خلاف عند أهل اللغة . . . .

وقد ذكر السيد الألوسي الكثير ما ورد فيها في كتب اللغة في دلالالتها ومناسباتها. . .

وأما القسم المستعمل فالمحرّم وصفر وربيعان وجماديان ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة . . . .

وقد فصّل السيد الألوسي في معانيها وأشار إلى كتاب «صناعة الكتاب» لإبن النحّاس ، كما تكلم على الأشهر الحرم . . . .

24 ـ ذكر ما كان للعرب في الجاهلية من العلوم والمعارف ؛

بدأ السيد الألوسي كلامه بمقدمة تاريخية ، وعرض إلى معنى «الأمية» فقال : و«الأمّي» المنسوب إلى أمة العرب ، وأشار إلى علومهم الفطرية ومعارفهم الطبيعية ، ثم انصرف إلى .

علم الشعر والقريض

تكلم في هذا على فضل الشعر ومكانته لدى العرب في جاهليتهم ، وأشار إلى أقوال اللغويين والمؤرخين في «الشعر» . كما عرض «لاحتماء القبائل شعرائها»[9] و«تنقل الشعر

(8) قال الأستاذ الأثري (ص 76) : اعتمدت في تصحيح هذه الأسماء على «صبح الأعشي» 2/368 ، والقاموس وتاج العروس . . . .

(9) بلوغ الأرب ص 84 ـ 92 .

في القبائل» وتكلم على شعراء القبائل وطبقاتهم[10] ، وأنفة الشعراء من التكسب بالشعر .

ثم خلص بعد الكلام على نبوغ الشعراء القدامى . إلى الكلام على الشعراء وما أجادوا فيه من المعاني فكانوا على النحو الآتي :

امرؤ القيس بن حجر الكندي ، وزهير بن أبي سلمى ، والنابغة الذبياني ، وأوس بن حجر ، وبشر بن أبي خازم ، والأفوة الأودي ، والمرقش الأصغر ، ومهلهل ، والأسود بن يعفر ، وطرفة بن العبد ، والمتلمس ، وعلقمة بن عبدة ، وأبو دواد الإيادي ، ولقيط بن معبد الإيادي ، وحاتم الطائي ، وعمرو بن كلثوم وعنترة بن شدّاد العبسي ، وطفيل الغنوي ، والأضبط بن قريع السعدي ، وعدي بن زيد العبادي ، والحارث بن حلزة اليشكري ، وأمية بن أبي الصلت ، وقس بن ساعدة الإيادي ، وعائذ بن محصن الشهير بالمثقب العبدي ، والممزَّق العبدي ، وعبد قيس بن خفاف ، والشنفرى ، وعروة بن الورد ، وأفنون التغلبي ، وقيس بن الخطيم ، وأحيحة بن الجلاح، وعامر بن الطفيل، وأبو الطمَحان القيني ، والأعشى، ولبيد بن ربيعة العامري، وكعب بن زهير بن أبي سلمى، والعلاء بن الحضرمي ، والنمر بن تولب ، وحسان بن ثابت ، والنابغة الجعدي والحطيئة ، وأبو ذؤيب الهذلي ، والمتخل الهذلي ، وأبو صخر الهذلي ، وتميم بن مقبل ، وعبدة بن الطبيب ، وحميد بن ثور ، ومتمم بن نويرة ، ودريد بن الصمة ، وسويد بن أبي كاهل ، والنجاشي الحارثي ، والشمّاخ بن ضرار ، وعمرو بن معد يكرب ، وعمرو بن الأهتم ، وسحيم عبد بني الحسحاس ، وأبو محجن الثقفي ، وكعب بن سعد ، ومعن بن أوس ، وكعب بن جعيل ، وزياد بن زيد العذري ، وأبو الأسود الدؤلي وزفر بن الحارث ، وعبد الله بن قيس الرقيات ، والمتوكل الليثي[11] .

تعليق :

إن كلام السيد الألوسي على هؤلاء الشعراء قد ذهب إلى ذكر ما اشتهروا فيه من المعاني البديعة ، والأمثال السائرة ، وما تفرّد كل منهم في هذه المواد .

---

(10) قال السيد الألوسي : قد كتبت في هذا المقام عند تأليف هذا الكتاب من أخبار شعراء الجاهلية وأحوالهم ، ما كفانا عنه كتاب «الشعر والشعراء» لإبن قتيبة وغيره من الكتب المؤلفة في هذا الشأن فأسقطته عند الطبع ، وتعوّضت عنه بذكر ما انتقاه بعض الأئمة من عيون الأشعار . . . .
والمختص من الأمثال السائرة والمعاني النادرة . . . . . .

(11) بلوغ الأرب ص 82ـ 151 .

الخطب والوصايا

وقد تحول بعد كلامه على «الشعر والشعراء» إلى «الخطب والوصايا[12]» ، وأشار إلى مقاصد الخطب التي ترمي إلى تخليد مآثر العرب والإشادة بوقائعهم وأيامهم ، والفخر بسجاياهم في الكرم وحماية الجار وإغاثة الملهوف والذود عن العرض والشرف ، وما يتصل بالمحامد والمكارم .

وقد ذكر الجاحظ في «البيان والتبيين» أن لكل قبيلة خطيبها كما أن لها شاعرها . وقد ألف فيها كتب كثيرة منها كتاب «غاية الأدب في كلام حكماء العرب» . . . .

وذكر الجاحظ شيئاً من خطب الجاهلية والإسلام ، وذكر من خطبهم «العجوز» وهي خطبة لآل رقبة ، ومتى تكلموا فلا بد لهم منها أو من بعضها ، و«العذراء» وهي خطبة قيس من خارجة لأنه كان أبا عذرها .

و«الشوهاء» وهي خطبة سحبان وائل ، وقيل ذلك لها من حسنها . . . . والخطب والوصايا متقاربان في المفهوم ، بيد أن الخطب إنما يقصد بها قوم لا على سبيل التعيين والتخصيص بخلاف الوصايا . وإن الخطب تكون في المشاهد والمجامع والأيام والمواسم ، والتفاخر والتشاجر ، ولدى الكبراء والأمراء ، ومن الوفود في أمر مهم ، وخطب ملمّ .

والوصايا بخلافها في كل ما ذكر ، فلا تكون إلا لقوم مخصوصين في زمن مخصوص على شيء منصوص . . . . . .

وللعرب في الخطب عناية في جاهليتهم لم تعرف في إسلامهم ، ومن عنايتهم بها تخير ألفاظها وبناء فواصلها وأحكام رصفها ، ولهم فيها عوائد . فمن عوائدهم أن الخطيب إذا خطب في مفاخرة أو منافرة رفع يده ووضعها ، وأدّى كثيراً من مقاصده بحركات يده . . . . .

ومن عوائدهم أخذ المخصرة بأيديهم ، وهي ما يتوكّأ عليه كالعصا ونحوه . . . . . .

. . . .

واستحسنوا أن يكون الخطيب جهير الصوت ، ولذلك مدحوا سعة الفم . . . . .

. . . .

وتحول السيد الألوسي إلى ذكر خطبائهم في الجاهلية ممن عرفوا بالخطابة وربما كان طائفة منهم من مفلقي الشعراء ، ومنهم :

---

(12) المصدر السابق ص 151ـ 182 .

قسّ بن ساعدة الإيادي ، وسحبان وائل الباهلي ، ودويد بن زيد ، ورهير بن جناب بن هبل الحميري ، ومرثد الخير الحميري ، والحارث بن كعب المدحجي ، وقيس بن زهير العبسي ، والربيع بن صبيع الفزاري ، وأبو الطمحان القيني ، وذو الإصبع العَدواني ، والأوس بن حارثة ، وأكثم بن صيفي التميمي ، وقيس بن عاصم المنقري ، وعمرو بن كلثوم التغلبي ، ونعيم بن ثعلبة الكناني ، وأبو سيارة العدواني ، والحارث بن ذبيان بن لجأ اليماني ، وقد أتى على خطب هؤلاء كما أتى على أشعارهم وفخرهم بما كان لهم من لَسَن وفصاحة .

وختم هذا الباب في الخطب بالكلام على خطب الصدر الأول من الإسلام .

علم الأنساب[13]

وهو من معارفهم ، وهو العلم يتعرف به أنساب الناس . وللعرب اعتناء بمعرفة النسب وضبطه ، ذلك أنه من أسباب تآلفهم وتناصرهم . وكأن نظامهم الإجتماعي الذي يقوم على القبائل يفرض هذه العناية فالقبيلة أسرة واحدة إن حزب أمر . وقد روي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : ﴿**لو أن لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد**﴾ .

وحملة الأنساب أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام : قسم والدون ، وقسم مولدون ، وقسم مناسبون ، ولكل قسم منهم منزلة من البر والصلة . . . .

فأما الوالدون فهم الآباء والأمهات والأجداد والجدّات ، وهم موسومون مع سلامة أحوالهم بخلقين : أحدهما لازم بالطبع ، والثاني حادث باكتساب ، فأما ما كان لازماً بالطبع فهو الحذر والإشفاق ، وذلك لا ينتقل عن الوالد بحال ، فقد روي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : «الولد مبخلة مجهلة» مجبنة محزنة» فأخبر أن الحذر عليه يكسب هذه الأوصاف ، ويحدث هذه الأخلاق .

وقيل ليحيى بن زكريّا (عليهما السلام) : ما بالك تكره الولد ؟ فقال : مالي وللولد ! إن عاش كدَّني ، وإن مات هدَّني .

وأما ما كان حادثاً بالإكتساب فهو المحبة التي تنمي مع الأوقات . . . .

قال ـ ﷺ ـ : «الولد أنوط» أي أن حبّه يلتصق بالقلب . وقال أيضاً : «لكل شيء ثمرة وثمرة القلب الولد» .

أقول : ومضى السيد الألوسي في بيان حق الوالدين على الولد ، وما يلزمه من البرّ بهما .

---

(13) بلوغ الأرب ص 182- 210 .

وأما المولودون فهم الأولاد وأولاد الأولاد ، والعرب تسمي ولد الولد «الصفوة» ومضى المؤلف في بيان ضرورة معرفة النسب وردّ من يقول : إنه علم لا ينفع وجهل لا يضرّ يقول ابن حزم في مقدمة «كتاب النسب» : بأن في علم النسب ما هو فرض على كل أحد ، وما هو فرض على الكفاية ، وما هو مستحب ، قال : فمن ذلك أن يعلم أن محمد رسول اللّه - ﷺ - ابن عبد اللّه الهاشمي ، فمن زعم أنه لم يكن هاشمياً فهو كافر، وأن يعلم أن الخليفة من قريشس ، وأن يعرف من يلقاه بنسب في رحم محرّمة ليجتنب تزويج ما يحرم عليه منهم . وأن يعرف أمهات المؤمنين وإن نكاحهن حرام على المؤمنين . . . . .

. . . .

ومن الفقهاء من يفرِّق في الجزية وفي الإسترقاق بين العرب والعجم . . . .

. . . .

وقال ابن عبد البرّ في أول كتابه «النسب» : ولعمري لم ينصف من زعم أن علم النسب علم لا ينفع ، وجهل لا يضر .

وقال النويري في «نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب»: لا خفاء أن المعرفة بعلم الأنساب من الأمور المطلوبة والمعارف المندوبة لما يترتب عليها من الأحكام الشرعية ، والمعالم الدينية وردت الشريعة المطهرة باعتبارها في مواضع : منها العلم بنسب النبي - ﷺ - . . . .

ومنها التعارف بين الناس حتى لا يعتزي أحد إلى غير آبائه ، ولا ينتسب إلى سوى أجداده ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿**يا أيها النـاس إنّا خلقنـاكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا**﴾ . . . . .

وعلى هذا يترتب أحكام الورثة فيحجب بعضهم بعضاً ، وأحكام الأولياء في النكاح فيقدّم بعضهم على بعض ، وأحكام الوقوف إذا خصّ الواقف بعض الأقارب . . . . فلولا معرفة الأنساب لفات إدراك هذه الأمور .

ومنها اعتبار النسب في كفاءة الزوج والزوجة في النكاح ، ففي مذهب الإمام الشافعي لا يكافىء الهاشمية المطّلبيّة غيرهما من قريش ، ولا يكافيء القرشية غيرها من العرب ممن ليس بقرشي . . . . . وفي اعتبار النسب في العجمي أيضاً وجهان . . . . .

وفي مذهب الإمام أبي حنيفة أحكام أخرى .

طبقات الأنساب

قال الإمام الماوردي في كتاب «الأحكام السلطانية» :

قد رُتبت أنساب العرب ست مراتب فجعلت طبقات أنسابهم وهي شعب ، ثم

قبيلة ، ثم عمارة ، ثم بطن ، تم فخذ ، ثم فصيلة . فالشِعب النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان ، سُمِّي شعباً لأن القبائل منه تشعبت . ثم القبيلة وهي ما انقسم فيه أنساب الشعب مثل ربيعة ومضر ، وسميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها ، ثم العمارة وهي ما انقسم فيه أنساب القبائل مثل قريش وكنانة . ثم البطن وهو ما انقسم فيه أنساب العمارة مثل بني عبد مناف وبني مخزوم . ثم الفخذ وهو ما انقسم فيه أنساب البطن مثل بني هاشم وبني أمية ثم الفصيلة وهي ما انقسم فيها أنساب الفخذ مثل بني أبي طالب وبني العباس .

. . . .

وقال أبو إسحاق الزجاج : القبائل للعرب كالأسباط لبني إسرائيل ، ومعنى القبيلة الجماعة . ويقال لكل ما جمع على شيء واحد قبيلة أخذاً من قبائل الشجرة وهي غصونها . أو من قبائل الرأس وهي أعضاءها ، سميت بذلك لإجتماعها . والمراد بالشعوب في الآية النسب البعيد وهو قول مجاهد أخرجه الطبري عنه .

وذكر أبو عبيدة مثال الشِعب مضر وربيعة ، ومثال القبيلة من ذلك ، وأنشد لعمرو بن أحمر :

من شِعب همدان أو سعد العشيرة أو   خولان أو مذحج هاجوا له طرباً

وقيل : المراد بالشعوب في الآية بطون العجم .

ومما يجب للناظر في علم الأنساب :

أمور منها ما ذكره الجوهري أن القبيلة بنو أبٍ واحد .

وقال ابن حزم : جميع قبائل العرب راجعة إلى أبٍ واحد سوى ثلاث قبائل وهي : تنوخ والعتق وغسان ، فإن كل قبيلة منها مجتمعة من عدة بطون[14] . والأب الواحد قد يكون أباً لعدة بطون ، ثم أبو القبيلة قد يكون له عدة أولاد فيحدث عن بعضهم قبيلة أو قبائل فينسب إليه من هو منهم ، ويبقى بعضهم بلا ولد ، أو يولد له ولم يشتهر ولده فينسب إلى القبيلة ومنها : إذا اشتمل النسب على طبقة فأكثر كهاشم وقريش ومضر وعدنان جاز لمن في الدرجة الأخيرة من النسب أن ينسب إلى الجميع ، فيجوز لبني هاشم أن ينسبوا إلى هاشم وإلى قريش وإلى مضر وإلى عدنان . . . .

. . . .

---

(14) قال الأستاذ الأثري . وذلك أن تنوخاً اسم لعشر قبائل اجتمعوا وأقاموا بالبحرين فسُموا بتنوخ أخذاً من التتنخ وهو المقام ، والعتق جمع اجتمعوا على النبي - ﷺ - فظفر بهم فأعتقهم فسُمّوا بذلك ، وغسّان عدة بطون من الأزد نزلوا على ما يسمى غسان فسُموا به .

مذهبهم في أسماء القبائل

وذلك على خمسة أوجه : الوجه الأول أن يطلق على القبيلة لفظ الأب : كعاد وثمود ومدين . . . . وبذلك ورد في القرآن كقوله تعالى : ﴿وإلى عادٍ ، وإلى ثمود . وإلى مَدين﴾ أراد بني عاد وبني ثمود وبني مدين .

الوجه الثاني . أن يطلق على القبيلة لفظ النبوة فيقال : بنو فلان . . . . وأكثر ما يكون في البطون والأفخاذ والقبائل الصغار . . . .

الوجه الثالث : أن ترد القبيلة بلفظ الجمع مع الألف واللام كالطالبيين والجعافرة ونحوهما . . .

الوجه الرابع : أن يُعبَّر عنها بآل فلان كآل ربيعة وآل فضل وآل علي . . . .

الوجه الخامس : أن يعبَّر عنها بأولاد فلان . . . .

مذهبهم في التسمية والكنى :

الغالب على العرب تسمية أبنائهم بمكروه الأسماء ككلب وحنظلة وضرار وحرب وما أشبه ذلك ، وتسمية عبيدهم بمحبوب الأسماء كفلاح ونجاح ونحوهما . والسبب في ذلك ما حكي أنه قيل لأبي الدقيش الكلابي : لم تسّمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب ، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورَباح ؟ فقال : إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا ، وعبيدنا لأنفسنا يريد أن الأبناء معدّة الأبناء ، فاختاروا لها شرّ الأسماء ، والعبيد معدّة لأنفسهم فاختاروا لهم خير الأسماء . كذا في «نهاية الأرب»(15)

وقال الحافظ ابن القيم في كتاب «مفتاح دار السعادة» :

«كانت للعرب مذاهب في تسمية أولادهم ، فمنهم من سُمِّي تفاؤلاً بالظفر على أعدائهم نحو غالب وغلّاب ومالك وظالم وغارم ومنازل ومقاتل ومعارك ومُسهر ومؤرّق ومصبح وطارق .

ومنهم من تفاءل بنيل الحظوظ والسعادة كسعد وسعيد وأسعد ومسعود وسعدي وغانم ونحو ذلك .

ومنهم من قصد التسمية بما غلظ وخشن من الأجسام تفاؤلاً بالقوة كحجر وصخر وفهر وجندل .

ومنهم من كان يخرج من منزلته وامرأته تمخض فيسمّى ما تلده باسم أول ما يلقاه

---

(15) أقول : ورد مثل هذا أوّل ما ورد في فاتحة كتاب «الإشتقاق» لإبن دريد .

كائناً ما كان من سبع أو تعلب أو ضب أو ظبي أو كلب أو حشيش أو نحو ذلك ، وكان القوم على ذلك إلى أن جاء اللّه تعالى بالإسلام» .

وقال ابن الأثير في «النهاية» :

« . . . . وغالب أسماء العرب منقولة عما يدور في خزانة خيالهم ممّا يخالطونه ويجاورونه ، إما من الحيوان كأسد ونمر ، وإما من النبات كنبت وحنظلة وإما من الحشرات كحية وحنش ، وإما من أجزاء الأرض كنهر وصخر ونحو ذلك . ورأيت في سبب تسمية الموضع الذي قتل فيه الزبير بن العوام «بوادي السباع» وهو من نواحي الكوفة بين البصرة ومكة : أن أسماء بنت دويم . . . . . كان يقال لها أم الأضبع . . . . إلى آخر الحكاية[16] .

وأما الكنى فقد وقعت في كلامهم قديماً وحديثاً ، وكانت العرب تقصد بها التعظيم كما في قول الشاعر :

أكنيه حين أناديه لأكرمه ولا ألقّبه والسَّوأةَ اللقَبا[17]

وأصل الكنية من الكناية . . . . .

أقول: وعرض السيد الألوسي لـ«سبب الكنى في العرب» فأشار إلى حكاية في أحد الملوك ، ثم تحول بعد ذلك إلى الكنى في غير العاقل مثل : أبو جابر للخبز ، وأم قار للداهية . وكذلك للكنى في الحيوان كأبي الحارث للأسد وأبي الحصين للثعلب . . . .

ثم أشار إلى من اشتهر من العرب بمعرفة الأنساب ، فتكلم على كل منهم ما عرف من أخبارهم ، ومنهم :

دغفل بن حنظلة السدوسي ، وورقاء الأشعر ، وزيد بن الكيس النمري ، والنخّار بن أوس بن الحارث . . . . القضاعي ، وصَعْصعة بن صُوحان ، وعبد اللّه بن عبد الحجر بن عبد المدان .

---

(16) ذكرت هذه الحكاية باختصار في «القاموس» في (سبع) .

(17) البيت من شواهد النحو وقد ورد في حماسة أبي تمام منسوباً إلى بعض الفزاريين وأورد بعده : كذلك .

المصادر في هذا الجزء الثالث

1ـ الأغاني لأبي الفرج .

2 ـ ذيل الأمالي والنوادر للقالي .

3ـ لسان العرب لإبن منظور .

4 ـ صحيح البخاري .

6 ـ صحيح مسلم .

7 ـ شرح المفضليات لإبن الأنباري .

8 ـ الأصمعيات .

9 ـ العقد الفريد لإبن عبد ربه .

10 ـ مقاتل الفرسان لأبي عبيدة .

11 ـ شرح الحماسة للتبريزي .

12 ـ مساويء الخمر للسعدي .

13 ـ شرح الأمالي للبكري .

14 ـ شرح سنن أبي داود للخطابي .

15 ـ مجمع الأمثال للميداني .

16 ـ القاموس المحيط للفيروزآبادي .

17 ـ تهذيب الألفاظ لإبن السكيت .

18 ـ فتح الباري لإبن حجر .

19 ـ الأحكام السلطانية للماوردي .

20 ـ المعارف لإبن قتيبة .

21 ـ أمالي المرتضى .

22 ـ المفردات للراغب الأصفهاني .

23 ـ أعلام النبوة للماوردي .

24 ـ البيان والتبيين للجاحظ .

25 ـ روح المعاني لمحمود شهاب الدين الألوسي .

26 ـ الصحاح للجوهري .

27 ـ الميسر والقداح لإبن قتيبة .
28 ـ الخزانة للبغدادي .
29 ـ الإصابة لإبن حجر .
30 ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي .
31 ـ كنز الحفاظ في تهذيب الألفاظ لإبن السكيت .
32 ـ الغريبين لأبي عبيد الهروي .
33 ـ الإقتضاب في شرح أدب الكتاب لإبن السيد البطليوسي .
34 ـ الطرق الحكمية لإبن القيم .
35 ـ صبح الأعشي للقلقسندي .
36 ـ تفضيل الأزمنة ليوسف بن عبد الملك .
37 ـ السيرة النبوية لإبن إسحاق .
38 ـ صناعة الكتاب لإبن النحاس .
39 ـ العمدة لإبن رشيق .
40 ـ طبقات الشعراء لإبن سلاّم .
41 ـ الشعر والشعراء لإبن قتيبة .
42 ـ لباب الأدب للثعالبي .
43 ـ المعمّرين لأبي حاتم السجستاني .
44 ـ كتاب النسب لإبن عبد البر .
45 ـ نهاية الأرب للقلقشندي .
46 ـ مفتاح دار السعادة لإبن القيم .

وكأنه أراد أن يستوفي مادة «نسب» فراح يتعقبها في الأمثال ، وهي التي يراد بها النسيب بمعنى الغزل ، فجاء على ذرء من أخباره وأشعاره .

علم العرب بالأخبار[1]

وهذا باب من علومهم ومعارفهم مما حفظها لنا شعرهم .

قال :

ومن شعرهم دوّن الناس أيامهم وحروبهم كـأبي عبيدة ، وأبي الفرج الأصبهاني وغيرهما ، ومن شعرهم ألف أبو حاتم السجستاني «كتاب المعمرين» . ومن شعرهم ألّف في أحوال شعرائهم المتقدمين: ككتاب «الشعر والشعراء» لابن قتيبة. ومن شعرهم دونت الكتب في أحوالهم وأخبارهم وبلادهم وحيوانهم ونباتهم نحو كتاب بلاد العرب للأصمعي ، والحيوان للجاحظ ، والنبات لأبي حنيفة الدينوري .

ومن شعرهم عرفت حكايات القدامى وأخبارهم كـذي القرنين ، ولقمان بن عاد . . . .

التاريخ عند العرب

ومن معارفهم التاريخ وما دون من أخبارهم في الجاهلية وما كان من وقائعهم وأديامهم . وطريقتهم في التاريخ وضبطهم للأحداث .

قال السيد الألوسي : وقد لخصت ذلك من كتاب «أدب الكتاب» للصولي .

. . . .

فقد كان لهم في اليمن والحجاز ونجد تواريخ كثيرة يتعارفونها خلفاً عن سلف ، وقد كان كل طائفةٍ منهم تؤرخ بالحادثات المشهورة فيها ، وحيث أن استيعاب ذلك يطول اقتصرت على بيان ما كان شائعاً عند جميعهم وهو «زمن الفِطَحْل» .

---

(1) بلوغ الأرب ص 211ـ 261 .

زمن الفِطَحْل

قال الخليل بن أحمد : هو الزمن الذي لم يخلق فيه الناس بعد ، ومنهم من قال : هو زمن نوح ـ عليه السلام ـ ، ومنهم من قال : هو الزمن الذي كانت الحجارة فيه رطاباً . . . .

. . . .

ما كان للعرب من العلم بالسماء وكائنات الجو

وهذا علم يتصل بالأجرام العلوية .

ولهم فيه كتب منها : «كتاب الأنواء» لأبي فيد مؤرّج ، وآخر لأبي بكر بن دريد ، وآخر لإبن الأعرابي ، وآخر للنضر بن شميل ، وآخر للزجاج .

قال : وأتمها فائدة كتاب أبي حنيفة الدينوري فإنه تضمن ما كان عند العرب من العلم بالسماء والأنواء ومهاب الرياح وتفصيل الأزمان . . . .

وقد عرض السيد الألوسي لعلمهم في «السماوات والأفلاك» فأتى على ما أثر عنهم في «القمر» و«منازله» وما يتصل بالمنازل من «الأنواء» . ثم عرض للفصول الأربعة وهي : الربيع والصيف والخريف والشتاء .

وتكلم على أيام الأنواء ، والبعد بين المنازل ، وما تقوله العرب في طلوع المنازل والكواكب ، والطالع والغارب من المنازل والرقيب ، والبروج الإثنى عشر ، وفصول السنة وما لهم فيها من الإختلاف ، والجمرات وسقوطها ، وهل هي كواكب أم لا ، ومخايل العرب في الأنواء . . . .

وقد أفاد من :

كتاب الأنواء لإبن قتيبة .
وأدب الكاتب لإبن قتيبة .
والأغاني لأبي الفرج .
والأنواء للمرزباني .
والمطر والسحاب لإبن دريد ، وقد ذكر فيه المؤلف روايات كثيرة عن الأصمعي .

علم القيافة[2]

ومن معارفهم قيافة الأثر أو يقال لها العيافة ، وقيافة البشر . . . .
والقيافة والعيافة تتبع أثار الأقدام والأخفاف والحوافر . . . .

---

(2) بلوغ الأرب ص 261ـ 263 .

قال السيد الألوسي : وأما قيافة الستر فهي الإستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والإتحاد بينهما في النسب والولادة وفي سائر أحوالهما وأخلاقهما .

وقد فسّرها أبو القاسم الأصفهاني في كتاب «الذريعة» بتفسير أوجز فقال : القيافة ضربان : أحدهما تتّبع أثر الأقدام ، والإستدلال به على السالكين .

والثاني الإستدلال بهيئة الإنسان ومشكله على نسبته . وخُص الإستدلال بالقيافة البشرية من العرب بنو مُدلج وبنو لهب .

تعليق : أقول كان الأولى أن يشير إلى هذه القيافة البشرية في الكلام على **الأنساب والأحساب** .

علم الفراسة[3]

وهو الإستدلال بهيئة الإنسان وأشكاله وألوانه وأقواله على أخلاقه وفضائله ورذائله . . . . وقد نبّه اللّه تعالى على صدقها بقوله : ﴿**أن في ذلك لآياتٍ للمتوسمين**﴾ وقوله تعالى : ﴿**تعرفهم بسيماهم**﴾ وقوله : ﴿**ولتعرفنّهم في لحن القول**﴾ : . . . . وهو ضرب يحصل عن خاطر لا يعرفه كالإلهام . . . . .

وضرب آخر من الفراسة يكون بصناعة متعلمة ، وهي معرفة الألوان والأشكال ، وما بين الأمزجة والأخلاق والأفعال الطبيعية . ومن عرف ذلك كان ذا فهم ثاقب الفراسة . . . .

والفراسة ضرب من الظن ، وهي من توابع العقل . . . .

وقال الأصفهاني في «الذريعة» : ومن الفراسة علم الرؤيا . . . .

علم الكهانة والعرافة [4]

عرفت الكهانة (بفتح الكاف أو كسرها) في الجاهلية ، وقيل فيها : أنها إدعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الإستناد إلى سبب . والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة فيلقنه في أذن الكاهن .

والكاهن لفظ يطلق على العرّاف ، والذي يضرب بالحصى والمنجم .

. . . .

ورجع المؤلف إلى ما ورد في كتب اللغة ومدونات الحديث في الكهانة وحدوها ووجوبها .

---

(3) بلوغ الأرب ص 263ـ 269 .
(4) بلوغ الأرب ص 269ـ 326 .

وكأنهم ميّزوا العرافة عن سائر وجوه الكهانة ، فالعرّاف يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدّعي معرفتها بها : كالزجر والطرق بالحصى . . . .

وقال ابن خلدون : وأما الكهانة فهي أيضاً من خواص النفس الإنسانية وذلك أن للنفس الإنسانية استعداداً للإنسلاخ من البشرية إلى الروحانية التي فوقها . . . .

وقد اشتهر بالكهانة والعرافة في الجاهلية جماعة منهم :

عُزّى بن سلمة الكاهن ، وشق بن أنمار بن نزار ، وسطيح بن مازن بن غسان ، وطريفة الكاهنة ، وزبراء الكاهنة ، وخُنافر بن التوأم الحميري ، وصواحبات مصادين مزعور القيني وسلمى الهمدانية ، وعفيراء الكاهنة الحميرية ، وسواد بن قارب الدوسي ، وفاطمة بنت مر الخثعمية . . . .

وقد تحدث ابن خلدون عن العرافين فذكر عرّاف اليمامة وعرف نجد وما ورد منهما في الشعر ، قال : عراف اليمامة هو رياح بن عجلة ، أو عراف نجد هو الأبلق الأسدي .

وأما الزجر والعيافة فهما الإستدلال بأصوات الحيوانات وحركاتها وسائر أحوالها على الحوادث واستعلام ما غاب عنهم . وقد تكلم في هذا ابن خلدون في «المقدمة» . . . . . .

قال ابن القيم في كتاب «مفتاح دار السعادة» في الزجر فتكلم على السانح والبارح والقعيد والناطح .

وقال ابن الأثير في «النهاية» : الزجر للطير هو التيمن والتشاؤم بها والتفاؤل بطيرانها كالسانح والبارح ، وهو نوع من الكهانة والعيافة . . . .

وممن اشتهر بالعيافة والزجر ، عرّاف اليمامة ، والأبلق الأسدي ، والأجلح ، وعروة بن يزيد ، وحسل بن عامر بن عميرة الهمداني ، وأبو ذؤيب الهذلي ، وجابر بن عمرو المازني ، وجندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، ومرّة الأسدي .

ومن العرب من أنكر الزجر والطيرة ، ومنهم ضابىء بن الحارث ، والمرقش ، وجهم الهذلي ، ولبيد بن ربيعة . . . . . .

المصادر في هذا الجزء أيضاً

1 ـ كتاب المعمرين لأبي حاتم .

2 ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة .

3 ـ الحيوان للجاحظ .

4 ـ النبات لأبي حنيفة .

5 ـ الإصابة لابن حجر .

6 ـ الوشي المرقوم للهمداني .

7 ـ أدب الكتاب للصولي .

8 ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي .

9 ـ كتاب الأنواء لأبي فيد مؤرج السدوسي .

10 ـ كتاب الأنواء لأبي بكر بن دريد .

11 ـ كتاب الأنواء لابن الأعرابي .

12 ـ كتاب الأنواء للنضر بن شميل .

13 ـ كتاب الأنواء للزجاج .

14 ـ كتاب الأنواء لأبي حنيفة الدينوري .

15 ـ كتاب الأنواء للزجاجي .

16 ـ كتاب الأنواء لابن قتيبة .

17 ـ أدب الكاتب لابن قتيبة .

18 ـ كتاب الأنواء للمرزباني .

19 ـ المطر والسحاب لابن دريد .

20 ـ الذريعة للأصفهاني .

21 ـ شرح صحيح مسلم للنووي .

22 ـ الأمالي لأبي علي القالي .

23 ـ أعلام النبوة للماوردي .

24 ـ المقدمة لابن خلدون .

25 ـ مفتاح دار السعادة لابن القيم .

علم الطب [1]

ومشاهير أطباء العرب ، منهم :

الحارث بن كلدة الثقفي .

والنضر بن الحارث بن كلدة .

وابن حزيم .

المصدر : عيون الأنباء في طبقات الأطباء
لابن أصيبعة

كما ذكر أسماء العلل التي وصفوها .

علم الرياضة[2]

وهـو معرفـة استنباط المـاء من الأرض بـواسـطة بعض الإمـارات الـدالّـة عـلى وجوده . . . بشم الأرض ، أو برائحة بعض النبات ، أو بحركة حيوان مخصوص ، وهذا كله من «الفراسة» . . . . .

وهذا يؤدي إلى اهتدائهم في البراري ومعرفة أحوال الأمكنة . . . .
. . . .

العلم بأدواء الخيل ودوائها[3]

ويتناول أيضاً عيوب الخيل خلقة وتلك التي تحدث ، كما يتناول محاسن الخيل وما يستحب فيها من الخَلْق . . . . .

---

(1) بلوع الارب ص 327ـ 343 .
(2) بلوغ الأرب ص 343ـ 344 .
(3) بلوغ الأرب ص [18] ـ 351 .

علم خلق الإنسان[4]

وهو معرفة ما يشتمل عليه جسم الإسان من أعضاء ظاهرة وباطنة . . .

المصدر : خلق الإنسان للأسكافي

علم الرمي بالسهام[5]

ويتناول أيضاً المراحاة بالسهم والسبق بالنصل ، والنضال وأنواعه ، والقوس وما وضع لها ولأجزائها من أسماء ، والسهم وما وضع لها من الأسماء . . .

علم نزول الغيث [6]

وفيه العلم بالرياح وأوصافها ، والسحب وأنواعها ، والرعد والبرق . . . .

المصدر : لباب الآداب للثعالبي

علم الملاحة [7]

يتناول معرفة البحار وطرائق الملاحة والمراكب والسفن . . . .
. . . .

(4) بلوغ الأرب ص 352 ـ 353 .

(5) بلوغ الأرب ص 354 ـ 358 .

(6) بلوع الأرب ص 358 ـ 364 .

(7) بلوغ الأرب ص 364 ـ 367 .

كتابة العرب في الجاهلية[1]

استقرى السيد الألوسي الشعر الجاهلي فوقف فيها على ما يشير إلى معرفتهم الكتابة ، كما وقف على خط الجزم . ثم رجع إلى كتب الأدب فوجد فيها حاجته ومنها : «أدب الكتاب» للصولي وغيره كمقدمة ابن خلدون ، ومعجمات اللغة . لقد تكلّم على الكتابة لدى أهل الحيرة ، ولدى الحميريين وما عرف عنهم من الخط «المسند» . . . .

ثم تكلم على ما يتصل بالكتابة من فوائد ، فجاء في ذلك على مواد الكتابة وآلاتها ، وكله مستفاد من «أدب الكتاب» للصولي .

ثم تكلم على «مكاتبات العرب ومراسلاتهم وما لهم في ذلك من العوائد» .

قال : وربما كتبوا أبياتاً من الشعر تؤدي مقاصدهم . . . . ففي كتاب «مروج الذهب» عند ذكر سابور ذي الأكتاف وغلبة العرب على سواد العراق قال : وكانت جمهرة العرب ممن غلب على العراق ولد إياد بن نزار ، وكان يقال لها : طبق لإطباقها على البلاد ، وملكها يومئذ الحارث بن الأغر الإيادي ، فلما بلغ سابور من السن ست عشرة سنة أعدّ أساورته بالخروج إليهم والإيقاع بهم ، وكانت إياد تصيّف بالجزيرة وتشتو بالعراق ، وكان في حبس سابور رجل منهم يقال له لقيط فكتب إلى إياد شعراً ينذرهم به ، ويعلمهم خبر من يقصدهم ، وهو :

سلام في الصحيفة من لقيطٍ	على من في الجزيرة من إياد
بأن الليث يأتيكم دَلاقاً	فلا يحسبكمْ شوكَ القتاد
أتاكم منهم سبعون ألفاً	يجرّون الكتائب كالجراد
. . . .	. . . .

فلم يعبأوا بكتابه ، وسراياه تكرّ نحو العراق . . . فلما تجهّز القوم نحوهم أعاد إليهم كتاباً يخبرهم أن القوم قد عسكروا وتحشدوا لهم ، وأنهم سائرون إليهم ، وكتب إليهم شعراً .

. . . .

(1) بلوغ الأرب ص 367ـ 373 .

فأوقع بهم فعمّهم القتل ، فما أفلت منهم إلاّ نفر لحقوا بأرض الروم . . . .

و«صحيفة المتلمّس» مشهورة في كتب الأدب . . . .

. . . .

ثم تغيرت عوائدهم في الكتابة فكانوا يبتدئون في كتبهم بأسماء آلهتهم كاللات العُزّى ثم يذكرون مقاصدهم . . .

وفي «أدب الكتاب للصولي» : أن قريشاً كانت تكتب في جاهليتها : باسمك اللهم ، وكان النبي - ﷺ - كذلك ، ثم نزلت سورة هود وفيها : «بسم اللّه مجراها ومرساها» فأمر النبي - ﷺ - أن يكتب في صدر كتبه : بسم اللّه ، ثم نزل في سورة بني إسرائيل : ﴿**قل ادعوا اللّه أو ادعوا الرحمن أيناً تدعوا فله الأسماء الحسنى**﴾ فكتب : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، ثم نزل في سورة النمل ﴿**إنه من سليمان وإنه بسم اللّه الرحمن الرحيم**﴾ فجعل ذلك في صدر الكتب . . . «أدب الكاتب» .

ونقل المسعودي في «مروج الذهب» عن جماعة منهم ابن السائب الكلبي : أن أول من كتب من قريش «باسمك اللّهم» أمية بن أبي الصلت . . . . .

. . . .

. . . .

ومضى السيد الألوسي في ذكر هذه المواد الأسلوبية وأشار إلى قولهم «أما بعد» وأفاد أن أول من قالها كعب بن لؤي على ما ورد لدى الصولي .

ثم تحوَّل إلى المادة التي كتبوا عليها فأشار إلى «القرطاس» وظهوره في سنة 120 للهجرة . وكانوا يسمّونه «مهرقاً» و«صحيفة» و«سفراً» . . . . . .

. . . .

حساب العرب أيام جاهليتهم(2)

بدأ السيد الألوسي في هذا فأشار إلى تجربة الإنسان القديم الذي استعان بأصابعه في العدّ . ثم اهتدى في عدّه هذا إلى الآحاد والعشرات والمئات والألوف . وأشار إلى ما أُلّف في الحساب من رسائل ، ومنها : رسالة شرف الدين اليزدي وهي من أحسن ما أُلِّف في هذا العلم ، وقد نظمت فيها أراجيز كثيرة منها : أرجوزة لابن حرب أورد فيها ما يحتاج إليه من هذا العلم ، ومنها أرجوزة أبي الحسن علي الشهير بابن المغربي ، وقد شرحها عبد القادر بن علي بن شعبان العوفي ، وأورد في شرحه فوائد كثيرة تتعلق بهذا العلم . وما روي عن العرب من الشعر المشتمل على هذا الحساب . ولشمس الدين محمد بن أحمد

---

(2) بلوغ الأرب ص 379ـ 384 .

الموصلي منظومة موجزة في بيان هذا الحساب مشتملة على نكت لـ .

. . . .

وجاء في «العقد الفريد» فوائد جليلة في الحساب .

وأشار السيد الألوسي إلى استعمال الحصى لدى القدماء ، وإلى هذا أشار الأعشى في أبيات له فضّل فيها عامر بن الطفيل على علقمة بن علاثة :

إن تــرجــع الحــقَّ إلى أهــله فلست بــالمســدي ولا النــائــر
ولستَ في السلم بــذي نــائــلٍ ولــست في الهيجــاء بــالخــاسر
ولــستَ بــالأكــثر منهــم حصىً وإنَّمــا الــعــزَّة لــلكــاثــر

. . . .

و«الحصى» : العدد ، والمراد هنا عدد الأعوان والأنصار . وقال بعض شرّاح هذه الأبيات : وإنما أطلق «الحصى» على العدد لأن العرب أمّيون لا يعرفون الحساب بالقلم . . . . ومنه أخذوا الفعل «أحصى» . . . .

وكانوا يمدحون من يحسن الحساب والعدد ويصفونه بالحذق . قال النابغة يعتذر للنعمان :

واحكمْ كحكم فتاة الحيّ إذ نظَرت إلى حمــام سراعٍ وارد الــثَّــمــد
قــالت : ألا ليتما هــذا الحمام لنــا إلى حمــامــتَنــا أو نــصــفــه فــقــد
فــحسَّبــوه فــألفــوه كــما زَعَـمت تسعــاً وتسعــين لم ينقُص ولم يــزد
فــكمَّلتَ مئــةً فيــهــا حمــامــتــهــا وأسرَعَت حِســبةً في ذلــك العــدد

وأوضح شرّاح هذه الأبيات هذه المادة الحسابية التي اتصلت بالحساب لتلك الجارية . . . . . .

وتكلّموا في أوائل العدد ونهاياتها بكلام كثير أحسنه ما قال الهنود : إن الأعداد تبتدىء من واحد وتنتهي إلى تسعة ثم تكون راجعة إلى حال الواحد على الرتبة . . . .

. . . .

معايش العرب وأسبابها أيّام جاهليتهم[3]

ومن معايشهم :

التجارة

بدأ السيد الألوسي كلامه فأورد الحديث الشريف «التاجر الصدوق مع الكرام

(3) بلوغ العرب ص 385ـ 418 .

البررة» ، وكان أهل الحجاز أهل تجارة وكانت العرب على ما ذكر في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» تتمادح بكسب المال ، ولا سيما قريش . وذهب المفسرون في تفسير سورة قريش إلى أن للعرب أربع رحلات يمارسون فيها التجارة .

إن أصحاب «الإيلاف» الذين ورد ذكره في السورة أربعة إخوة ، وهم بنو عبد مناف الأول : هاشم وكان يؤالف ملك الشام حيث أخذ منه خيلاً فأمن في تجارته إلى الشام .

والثاني : عبد شمس وكان يؤالف إلى الحبشة .

والثالث : عبد المطلب وكان يرحل اليمن .

والرابع : نوفل وكان يرحل إلى فارس .

وكان هؤلاء يُسمّون المتجرين ، فيختلف تجز قريش بخيل هؤلاء الأخوة فلا يتعرّض لهم أحد . وفي هؤلاء يقول الشاعر :

يا أيها الرجل المحوِّل رحلَه	هلّا نزلتَ بآل عبد مناف
الآخذون العهد من آفاقها	والراحلون لرحلة الإيلاف
والرائشون وليس يوجد رائش	والقائلون هَلُمّ للأضياف
والخالطون غنيهم بفقيرهم	حتى يصير غنيّهم كالكافي

ومن المفسرين من قال : كان لقريش رحلتان رحلة في الشتاء إلى اليمن ، ورحلة في الصيف إلى بصرى من أرض الشام .

وأما أهل اليمن والبحرين وعمان والبحرين وهجر فكانت تجاراتهم كثيرة لما في بلادهم من الخصب والرخاء والذخائر المتنوعة ، والمعادن الجيدة . . .

وأما أهل نجد فكانوا دون غيرهم في الثروة والتجارة لما أن الغالب على أرضهم الرمال . . . . .

وكانوا يجتمعون في الأسواق (كل سوق له موسم من السنة . . .) .

. . . .

الصنائع

والصنائع من أسباب المعايش المحمود ، وفي الأثر «الحرفة أمان من الفقر» ، وقد تكلم ابن خلدون في «المقدمة» على الصنائع وذكر أن العرب أبعد الناس عن الصنائع ، وعلّل ذلك لأنهم أعرق في البدو ، وأبعد عن العمران البشري . . . . وقد أطنب في هذا إلى أن قال :

وأما اليمن والبحرين وعمان والجزيرة ، وإن ملكه العرب ، إلّا أنهم تداولوا ملكه

آلافاً من السنين في أمم كثيرين منهم ، واختطوا أمصاره ومدنه ، وبلغوا الغاية من الحضارة والترف مثل عاد وثمود والعمالقة وحمير من بعدهم والتبابعة والأذواء . فطال أمد الملك والحضارة . . وتوفرت الصنائع ورسخت . . . . كصناعة الوشي والعصب وما يستجاد من حوك الثياب والحرير فيها . . . . . .

قال السيد الألوسي : . . . بيد أني أذكر ما كان للعرب من أمهات الصنائع التي زاولوها للقيام بحاجاتهم ، وإن قلت فيهم ، ولم تصل إلى نهاية الإتقان . .

. . . .

على أن الكثير منهم كانوا بمعزل عن ذلك لما جبلوا عليه من الميل إلى المعالي والتفاخر بالشجاعة ، والتفاضل بالإقدام والجراءة والوفاء بالعهود . . . . . فدونك ما كان لديهم من الصنائع التي مسّت إليها حوائجهم ، وهدتنا إليها لغتهم ، ومنها :

صناعة البناء

هذه الصناعة كانت منحصرة في الحضر من العرب لأنهم الذين تمسّ إليها حوائجهم . . . . .

وعلّل ابن خلدون في «مقدمته» : بأن الإنسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله ، لا بد أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها . . . .

والقائمون بهذه الصناعة متفاوتون فيها فمنهم البصير الماهر ، ومنهم القاصر . وكانت لليمن أبنية عظيمة . . . . وكذلك في غيرها كما ذكره الأصبهاني في كتاب «جزيرة العرب» . وأبنيتهم كانت متفاوته فمنها ما كان بالحجارة ، ومنها البناء باللبن ، ومنها بالآجر ، ومنها بالطين والتراب . . .

فمن أبنيتهم : الدار ، ويقال لها : الدارة والمنزل والمنزلة والمباءة والمعان والوطن والمغني والمثوى والمربع . ويقال لصحن الدار : حر الدار وقاعتها وباحتها وساحتها . . . . .

وفي الدار البيت ، والمخدع هو البيت في البيت ، والنفَق والسربَ هما البيت تحت البيت ، والغرفة فوقه وهي العليّة وجمعها «علالي» .

. . . .

ويقال للصف الواحد من الحائط «ساف» من الآجر أو اللبن ، ويقال : ارتفع الحائط إذا بلغ أن يوضع عليه عقد الأزج أو أن يُغمّى أو يقبَّب أو أن يُسَنَّم وبيت مُغمًّى إذا سقّف بالخشب .

أقول وتمعنى السيد الألوسي فيأتي على الصُفّة والكوة والشاروف والمشكاة وغيرها من الألفاظ الخاصة ببناء البيت من المواد . وما يشتمل عليه البيت من الأجزاء ، والذين يعملون في بنائه وتشييده .

أقول : وجمع هذه المواد مستقراةً من كتب اللغة ، بعد تفرّقها في أصولها عمل مفيد . . . .

ثم تحوّل إلى بيوت أهل البادية وهي : الخباء وهو من صوف ، والبجاد وهو من وبر ، وقسطاط وهو من شعر ، وسرادق وهو من قطن . . . . .

وهذا كله مستقرىً في كتب اللغة ومعجمات العربية . . . .

صناعة التجارة

وهذه صناعة أهل التمدن والعمران ، فبناء البيت وما يوضع فيه مما يحتاج إليه أهل الحضر . وقد يحتاج أهل البدو إلى شيء من ذلك كالعمد والأوتاد لخيامهم ، والحدوج لظعنهم ، والرماح والقسي والسهام لسلاحهم . . . . . .

والنجار هو الذي يعالج الخشب بأعمال شتى ، وله أدواته التي يستعملها .

. . . .

وقد وجد السيد الألوسي أن المناسبة تقتضيه أن يبحث في «الباب وأجزائها» وما يتصل بها ، والكلمات التي تفيد الباب ، وكل هذا مما استقراه السيد الألوسي من معجمات العربية ولا سيما «الصحاح» للجوهري .

ولم يفته أن يفصل الكلام على أدوات النجارين . . . . .

الحدادة

وهي من الصنائع ، وفي العربية مصطلح واف لما يصنعه الحداد من السيوف والسنان وغيرها من السلاح المتخذ من الحديد ، وما يصنعه من حاجاتهم الأخرى . وللحداد أدواته وآلاته ، وهذا كله مما استُقريَ من كتب اللغة .

الحياكة والنسج

والحياكة صنعة ما يُحاك من الصوف والكتان والقطن مما يحتاج إليه في الثياب والأكسية . وللحياكة أدواتها الخاصة . .

وقريب من الحياكة «الخياطة» وهي من ضروريات العمران كما يستفاد مما ذكره ابن خلدون في «المقدمة» .

وكسوة العرب ضروب عدة من الثياب والأردية . ولكل من الرجال والنساء ثياب خاصة . وللعمائم سمات خاصة . وأشار إلى كتاب «لباب الآداب» لحمزة الأصفهاني الذي أورد فيه شيئاً عن عمائمهم ، وأتى على طرف من الأخبار الأدبية مما ذكر في أشعار العرب . . . .

ولا بد له من أن يعرض لما يحتذون من «النعال» وما ورد فيه من كلام ، وقال : جاء في الحديث أن أصحاب النبي - ﷺ - كانوا ينهون نساءهم عن الخفاف الحمر والصفر ، ويقولون : هو من زينة نساء آل فرعون . . . .

. . . .

الفلاحة

وهي من أسباب معايش العرب العامة ولا سيما أهل اليمن والبحرين وعمان وهجر . . .

. . . .

والعربية حافلة بألفاظ الفلاحة والزرع والنبات ، ومن نظر في كتاب «النبات» لأبي حنيفة الدينوري أدرك هذا .

وكأن السيد الألوسي قد ختم هذا الباب في «الصنائع» بالكلام على «تقدم العرب»[4] وهو خلاصة أو خاتمة لما ذكر فقال :

«ومن استقراء أحوالهم تبيّن أن مدار تقدمهم وارتقائهم على منصة السؤدد . . . . أمور منها :

١ - العلم : وقد بسط فيه القول وعرض لحاجتهم إلى العلوم التي استطاعوا معرفتها .

2 - اتفاق كلمتهم ، وفي هذا يشير إلى ما نقلهم الإسلام إليه من الشتات والفرقة إلى الإجتماع والألفة .

3 - العدل : وهو من أسس التقدم ، وقالوا : العدل أساس الملك .

وخلص إلى الكلام على سكنة البوادي وما امتازوا به عن الحضريين . . . وقد كان سكنى البادية من مفاخرهم ، قال القطامي :

ومن تكن الحضارة أعجبته فأيُّ رجال بادية ترانا

وأشعارهم وأخبارهم في هذا مستفيضة .

وقد أتى السيد الألوسي على القسط الوافي من ذلك ليعطي للبادية ما تستحقه من الكلام كما أعطى الحضارة حقها مما اتصفت به .

---

(4) بلوغ الأرب ص 418- 425 .

المنهج العلمي في «بلوغ الأرب»

لا بد أن يضع المؤلف لأي عمل علمي طريقة له يتبعها فيسير بهديها في عمله ، والتأليف العلمي عمل شاق لا يدركه إلّا أهله الذين تزوّدوا بالعلم فوعوا منه الشيء الكثير ، وعرفوا الطريق إلى ما لم يكن لديهم من مواده .

وإذا كان هذا هو طريق أهل العلم في كل عصر ، فقد يكون من التفريط أن تقول أن «المنهج العلمي» شيء ثقفناه في عصرنا من الغربيين . ولعل شيوع هذه المقولة متأتٍ من أننا ، نحن معاشر العرب ، عيال على الرافد الحضاري الذي يأتينا من الغرب ، بل قد يفرضه علينا الغرب . وإذا كانت الحضارة المعاصرة ثمرة ناضجة وفجّة حملت إلينا من الغرب ، فإننا قد تقبّلناها بقبول حسن خيرها وشرها .

لقد دهشنا بالعلم الغربي ، ومن طبيعة المتلقي للشيء الجديد أن يؤخذ به إذا كان مما لا يعرفه ولا يستطيع تحقيقه . ومن ذلك ما شاع من «المنهج العلمي» الذي نأخذ به أنفسنا في جامعاتنا ومعاهدنا .

أقول : ليس لنا أن ننكر هذا ، فقد سعينا إلى الغرب وذهبنا نتلقّى العلم في جامعاته ومعاهده ، وقد بلغ بنا الأمر أن الشيخ الجليل منا يهرع إلى معاهد الغرب بعد أن يتم درسه في معاهدنا الدينية العتيدة ، إن ذلك لعمري لمن الغرائب العجائب . وعدنا من الغرب نحمل هذه «الطريقة العلمية» و«المنهج العلمي» في البحث والتنقيب ، والوصول إلى الحقيقة بالشك فيها حيناً ، والتصديق حيناً آخر ، نحتال إلى الوصول إليها بوضع ما ندعوه الفرضيات التي نصل بها أو ببعضها إلى «النظرية» .

غير أننا في نقدنا قد أقمنا بيننا وبين تراثنا سداً ، وربما حسبنا أن ليس عندنا هذا الإكسير الجديد الذي ندعوه «المنهج العلمي» لقد أغفلنا النظر إلى تراثنا ، بل أُريدَ لنا أن نبتعد عنه .

إن «المنهج العلمي» الحديث يقوم على البحث والنظر والتجربة في ضوء ما يحتمل النظر الموضوعي . هذا حق ، ولكن أليس الكثير من هذا قد كان لدى العلماء المسلمين ؟

إني لأسأل وأتساءل قبل أن أتخطى للجواب عن هذا السؤال .

أقول . إذا كان المنهج العلمي يعتمد البحث الناقد وسيلةً ، فهل لنا أن نقول : أن ما أخذ به المحدّثون أنفسهم من طرائق الضبط القائمة على النقد ، وما يُدعى بـ «الجرح والتعديل» شيء يؤدي إلى ما يؤدي إليه «المنهج العلمي» . ألا ترى أن «الجرح والتعديل» هو النقد الداخلي وهو النقد الخارجي ، وأن تحرّي الصدق هو الرجوع إلى «المصادر» ونقدها والوصول فيها إلى العلم الخالص .

ومن هنا أدّى هذا «المنهج العلمي» الذي عرفناه في علوم الحديث الشريف إلى أن يكون لدينا فهم جيد لكتابة التأريخ ومعرفة الأخبار التاريخية . وليس عجيباً أن يكون كبار المؤرخين العرب من رجال الحديث .

وإذا كان هذا فليس غريباً أن يفيد أهل الأدب من هذه الطرائق العلمية ، وأنت تقف على هذه الطرائق في مصادر أدبنا القديم كالأغاني لأبي الفرج وغيره من المصادر الأدبية التاريخية .

أقول : ولم ينأ السيد الألوسي في «بلوغ الأرب» عن هذا المنهج العلمي ، فهو يسعى إلى ما ورد في كتب التاريخ والأدب فيثبت منها ما يحتاج إليه في تأييد كل رأي ، وتقوية كل معرفة بما دونه منها المتقدمون من الأدباء والكتّاب والشعراء والمؤرخين ، وهو بسط المعرفة القديمة في قول أحد القدماء بما يؤيدها من معاصر له أو ممن خلفه وأخذ عنه . ومن هنا نجد طائفة كبيرة من مصادر المعرفة مما أشار إليه . ومما لم يُشِرْ إليه فيعيّنه بالاسم .

وهو حين يشير إلى مصدره ينتهي فيه إلى إثبات ما أقرّه في أوائل فصوله .

«فهل شيء غير هذا هو «المنهج العلمي» ؟

خاتمة

أقول : هذا كتاب نفيس لم يدرك قيمته وفوائده السنية إلاّ من وقف عليه وقوف المستفيد الذي يهمه أمر تقويم التراث ومعرفة دخائره ونفائسه . ولن يُعرف مكانة السيد الألوسي من العلم وإدراكه لحقيقة العلم وكيف ينبغي أن يُصار إليه من لم يطل درس هذا السفر الغني ، ذلك أن تصانيفه الأخرى على كثرتها لا تعطي القارىء ما يعطيه هذا العلق النفيس .

وكأني به قد أدرك ما كان يتوق إليه وهو ماضٍ في وضع فرائد هذا الكتاب واستخلاصها من مصادر كثيرة تربي على المئتين ذكر طائفة منها ، وأغفل الأخرى ولكنك تدرك أن هذا المعين الثر لم يكن مادة ما أخذه من المصادر التي أثبتها . وهي من غير شك أوسع مما أخذه من هذا العدد الذي أثبته من مصادره .

إن مادة «الكتاب» ترمي إلى «معرفة أحوال العرب» ، و«أحوال العرب القدامى» أشتات كثيرة تاريخية . غير أن هذه المادة التاريخية تندرج في تاريخ العرب وأصولهم في مجتمعاتهم القديمة في مواطنهم المختلفة . وهذه المادة التاريخية تشتمل على قدر كاف من المادة الجغرافية .

ثم إن هذه المادة التاريخية غير بعيدة عن المادة الأدبية واللغوية . وهي كذلك متصلة أشدّ الإتصال بالحضارة القديمة العربية في مسارها الواسعة التي تشتمل على ما ندعوه في عصرنا بـ «الحالة الإجتماعية» ، فأنت تقف في هذا «العلق النفيس» على معارف العرب وعاداتهم وممارساتهم وأديانهم .

وقد يذهب بك الظن إلى أن السيد الألوسي أراد أن يكرّم العرب وينتصر لهم ، فهو يبرز للقارىء الصحف المشرقة من تاريخهم المجيد .

أقول : قد يذهب القارىء إلى هذا ، ولكنه ما إن يباشر استقراء مادته استقراءً كافياً يدرك أن السيد الألوسي مؤرخ أمين وقف على المحاسن والمساوىء فأشار إلى مفاخر العرب كما أشار إلى ما لا يليق من ممارساتهم مما أثبت في مصادر التاريخ والأدب .

ومن هنا كان «بلوغ الأرَب» مصدراً لطالب المعرفة التاريخية من مؤرخ وأديب ولغـوي ، وعالِم في الإجتـماع ، وآخـر ممن يضـطلع بعلم الإنسـان أو مـا نـدعـوه بـ «الأنثربولوجي» .

فهرس المصادر[1]

1 ـ محمود شكري الألوسي للأستاذ محمد بهجة الأثري (من منشورات معهد الدراسات العربية العالية) ، القاهرة 1958 .

2 ـ أعلام العراق للأستاذ الأثري ـ مصر 1345 .

3 ـ عشائر العراق للأستاذ عباس العزاوي ـ بغداد 1365 ـ 1375 .

4 ـ لب الألباب لمحمود صالح السهروردي ـ بغداد 1351 .

5 ـ تاريخ الأدب العربي لكارل بركلمان .

6 ـ المسك الأذفر للسيد محمود شكري الألوسي (الجزء الأول ـ بغداد 1348) .

7 ـ معجم المطبوعات العربية ليوسف أليان سركيس ـ القاهرة 1346 .

8 ـ فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ـ فاس 1346 ـ 1347 .

9 ـ تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ـ القاهرة 1913 ـ 1914 .

10 ـ أعيان البيان للسندوبي ـ مصر 1332 .

11 ـ في الأدب الحديث للدسوقي ـ مصر 1950 .

12 ـ مجلة العالم الإسلامي .

13 ـ مجلة لغة العرب ، المجلد الرابع ص 343 ـ 346 .

14 ـ مجلة المشرق ، المجلد الأول ص 865 ـ 869 .

مصادر «بلوغ الأرب»

1 ـ مقدمة ابن خلدون .

2 ـ الصحاح للجوهري .

3 ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب لأبي العباس أحمد بن عبد الله الشهير بابن أبي غدّة.

4 ـ كتاب الاقتضاء لابن تيمية .

---

(1) ويشتمل هذا الفهرس على مصادر دراستي ، ومصادر السيد الألوسي التي أشار إليها في الكتاب ، ولم أستطع أن أعرف طبعات هذه ، وأن طائفة منها مخطوط لا نعرفه ، وقد أدرجتها كما وردت في الكتاب ، فلم أجتهد في وضعها مرتبة حسب حروف المعجم .

5 ـ فتح الباري في شرح البخاري لابن حجر .
6 ـ تاج العروس للزبيدي .
7 ـ أنساب الأشراف للبلاذري .
8 ـ الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني .
9 ـ مفتاح العلوم للسكاكي .
10 ـ خزانة الأدب للبغدادي .
11 ـ الكتاب لسيبويه .
12 ـ الموشح للمرزباني .
13 ـ شرح الكافية للرضي الاستراباذي .
14 ـ كتاب «الروضة» للمبرّد .
15 ـ كتاب الملاحن لابن دريد .
16 ـ معاني الشعر للأشناندانى
17 ـ أقوم المسالك . . . . ؟
18 ـ القاموس المحيط للفيروز أبادي .
19 ـ شرح درّة الغواص للخفاجي .
20 ـ الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس .
21 ـ ديوان الحماسة لأبي تمام ، وشروحها .
22 ـ المصباح المنير للفيومي .
23 ـ الحماسة البصرية لصدر الدين أبي الفرج ابن الحسين .
24 ـ كتاب الكامل للمبرد .
25 ـ العقد الفريد لابن عبد ربه .
26 ـ مجمع الأمثال للميداني .
27 ـ أطعمة العرب للجاحظ .
28 ـ الروض الأنف للسهيلي .
29 ـ جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار .
30 ـ كتاب الكنايات للثعالبي .
31 ـ الأمالي لأبي علي القالي وشرحه للبكري .
32 ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، للثعالبي .
33 ـ كتاب الأوائل لإسماعيل بن هبة اللّه الموصلي .
34 ـ طبقات الشعراء لابن سلاّم .
35 ـ مثالب العرب لأبي عبيدة .
36 ـ القُرَب في محبّة العرب للحافظ العراقي .

37 ـ الردّ على الشعوبية لابن قتيبة .
38 ـ وفيات الأعيان لابن خلكان .
39 ـ تاريخ مكة للأزرقي .
40 ـ تاريخ المدينة للمسهودي .
41 ـ بلاد العرب للغدة الأصفهاني .
42 ـ كتاب نشر المحاسن اليمانية . . . ؟
43 ـ المختلف والمؤتلف لابن الشجري .
44 ـ صفة جزيرة العرب للهمداني .
45 ـ معجم البلدان لياقوت .
46 ـ تاريخ إربل لابن المستوفي .
47 ـ معجم ما استعجم للبكري .
48 ـ شرح سفر السعادة للسخاوي .
49 ـ منافرات العرب لأبي عبيدة .
50 ـ شرح المقامات للشريشي .
51 ـ النوادر لابن الأعرابي .
52 ـ فرح الأديب لأبي محمد الأعرابي (الغندجاني) .
53 ـ كتاب «المعمّرين» لأبي حاتم السجستاني .
54 ـ أمالي الشريف الرضي ؟ (لعله المرتضى) .
55 ـ كتاب الأصنام لابن الكلبي .
56 ـ الكامل (في التاريخ) لابن الأثير .
57 ـ عجائب المخلوقات لشهاب الدين الحموي .
58 ـ ربيع الأبرار للزمخشري .
59 ـ الإصابة لابن حجر .
60 ـ سيرة ابن سيد الناس .
61 ـ الاستيعاب لابن عبد البرّ .
62 ـ ديباجة العقائد العضدية للدواني .
63 ـ شرح الفوائد الغياثية لعيسى الصفدي .
64 ـ حواشي الكازروني .
65 ـ تفسير البيضاوي .
66 ـ السيرة لابن إسحاق .
67 ـ صحيح الإمام البخاري .
68 ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة .

69 ـ كتاب المعارف لابن قتيبة .
70 ـ أعلام النبوّة للماوردي .
71 ـ البداية والنهاية لابن كثير .
72 ـ الجماجم لأبي عبيدة .
73 ـ لسان العرب لابن منظور .
74 ـ صحيح مسلم .
75 ـ شرح المفضليات لابن الأنباري
76 ـ الأصمعيات للأصمعي .
77 ـ مقاتل الفرسان لأبي عبيدة .
78 ـ شرح الحماسة للتبريزي .
79 ـ مساوىء الخمر للسعدي .
80 ـ شرح سنن أبي داود للخطابي .
81 ـ تهذيب الألفاظ لابن السكيت .
82 ـ الأحكام السلطانية للماوردي .
83 ـ المفردات للراغب الأصفهاني .
84 ـ روح المعاني لشهاب الدين الألوسي .
85 ـ الميسر والقداح لابن قتيبة .
86 ـ كنز الحفّاظ في تهذيب الألفاظ لابن السكيت .
87 ـ كتاب «الغريبين» لأبي عبيد الهروي .
88 ـ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي .
89 ـ الطرق الحكمية لابن القيّم .
90 ـ صبح الأعشى للقلقشندي .
91 ـ تفضيل الأزمنة ليوسف بن عبد الملك .
92 ـ العمدة لابن رشيق .
93 ـ صناعة الكتّاب لابن النحاس .
94 ـ لباب الأدب للثعالبي .
95 ـ كتاب النسب لابن عبد البرّ .
96 ـ نهاية الأرب للقلقشندي .
97 ـ كتاب الحيوان للجاحظ .
98 ـ كتاب «النبات» لابن حنيفة الدينوري .
99 ـ الوشي المرقوم للهمداني .
100 ـ كتاب الأنواء لأبي فيد مؤرّج السدوسي .

101 ـ كتاب الأنواء للنضر بن شميل .
102 ـ كتاب الأنواء للزجاج .
103 ـ كتاب الأنواء للزجاجي .
104 ـ كتاب الأنواء لأبي حنيفة الدينوري .
105 ـ كتاب الأنواء للمرزباني .
106 ـ كتاب الأنواء لابن قتيبة .
107 ـ أدب الكاتب لابن قتيبة .
108 ـ المطر والسحاب لابن دريد .
109 ـ الذريعة للأصفهاني .
110 ـ شرح صحيح مسلم للنووي .
111 ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة .
112 ـ خلق الإنسان للإسكافي .

ملاحظة : إن طائفة من مصادر السيد الألوسي كانت مخطوطة حين ألّف الكتاب ، وما زال شيء من ذلك مخطوطاً إلى يومنا هذا .

فهرس

1992 / 1 / 405



هذا الكتاب

« محمود شكري الألوسي : عالم العراق ، ورحلة أهل الآفاق ، ناصر السنّة ، قامع البدعة ، محيي هدي السلف ، حافظ فنون الخلف ، علاّمة المعقول ، ودرّاكة المنقول ، دائرة المعارف الإسلامية ، نبراس الأمة العربية » .

« كان إماماً يقتدى به في علمه ، وهديه وآدابه ، وقف جميع حياته على علوم الإسلام وفنون اللغة في هذا العصر الذي قلّ فيه الاشتغال بالعلم والأدب في تلك البلاد بين أهل السنة » .

السيد محمد رشيد رضا

« خُلق الألوسي لكي يكون عالماً ممتازاً يتقدم العلماء ويقود حركة العلم والأدب في وطنه بعدما قادها جدّه ثم أبناؤه من بعده » .

الأثري

«أيّد الله الأستاذ ، وشرح بالمعارف صدره ، ورفع بالكمالات قدره ، ولا زالت تحييه المعالي ، وتخدمه بأبيضها وأسودها الأيام والليالي . نكتب إليه وفضله لدينا أظهر من الظهور ، وأشهر من كل مشهور ، معتقدين أنه يُسَرّ بما نتلوه عليه ، إذا ألقى بمقاليد سمعه إليه ، وذلك أن كتابه « بلوغ الأرب » جليل في بابه ، وقد استحق التقدم على أضرابه ، لم يحصل سواك من أربابها أحد على تلك الجائزة التي سبق بها الوعد ، لأن الموضوع واديه عميق . بعيد الطريق ، غير أن كتاب الأستاذ مع ذلك أجمع الكل مادة ، وأوسعها جادة ، فلذلك أنعم عليه صاحب الجلالة مولانا ملك السويد والنرويج بـ « نيشان » من الذهب ، أخضر العلاقة لا أخضر الجلدة من بيت العرب . وهذا « النيشان » لا يناله إلاّ عالم فاضل . . . . . » .

الكونت كرلو دي لندبرج قنصل السويد والنرويج العام في مصر ووكيلها السياسي

